

انقضاء عنيزة على جند خورشيد باشا وحصاره لها (صفر ١٢٥٤هـ)

محمد ثيان الشبان(*)

مستخلص البحث

يتعرض هذا البحث لوقعة حربية حدثت بين مدينة عنيزة وخورشيد باشا ، أحد قواد محمد علي البارزين . وقد تلى هذه الوقعة حصار للمدينة من قِبَل جيشه . وتعتمد هذه الدراسة على مصادر أولية أصيلة كالوثيقة التركية التي تحوي تقرير خورشيد باشا عن هذه الحرب ، هذا التقرير الذي بلاشك يعتبر مصدرا أساسيا أشارت إليه ، وأبرزته هذه الدراسة لأول مرة ، إذ لم يكن معروفا عن هذه الحرب سوى ماروته المصادر التاريخية المحلية فقط .

وهذا البحث ماهو إلا محاولة لدراسة هذه الحادثة وإلقاء الضوء على مآخضها من غموض في بعض الجوانب ، لاسيما في أسبابها ونتائجها .

وطبقاً لما رواه خورشيد في تقريره ، فإن هذه الحرب انتهت بالتسليم ، ولكن من خلال هذا البحث ، أثبتت الحقائق التاريخية أن هذا القول غير صحيح ، وهذا ماروته المصادر النجدية وتأييد بالتناقض الواضح في تقرير خورشيد نفسه ومآخضها من نقاط ضعف أخرى .

بعد أن خشيت الدولة العثمانية من منافسة الدولة السعودية الأولى لها ، والتي أحكمت سيطرتها على معظم بقاع شبه الجزيرة العربية ، أوعزت إلى واليها في مصر محمد علي بشنّ حرب على الدرعية . ولكن بعد الحملات الأولى^(١) التي أرسلها هذا الوالي ، يلاحظ أنها توقفت لفترة من الزمن ، ربما لانشغاله في تكوين دولة خاصة به ، وعدم تمكنه في نفس الوقت من استمرار السيطرة على وسط الجزيرة ، والتي قد تُحدّ من مهماته خارجها .

(*) أستاذ مساعد ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

(١) مثل حملة طوسون وحملة إبراهيم باشا .

وبعد فترة التوقف تلك ، والتي أنهى فيها كثيراً من مهماته الخارجية عاد إلى الجزيرة العربية ، ولكن هذه المرة لأهداف خاصة به ، وبشكل أكثر دهاء وخداعاً ، إذ وضع على رأس الحملة ، بجانب إسماعيل آغا : خالد بن سعود لتيقنه من تجاربه السابقة بأن الناس في نجد لاثلين قناتهم لحاكم أجنبي ، واعتقاداً منه أن هذا سيدلل الصعاب أمام الحملة . ولكن النتيجة كانت عكسية ، والهزيمة فادحة^(٢) .

هذه الهزيمة ، مع التقارب الذي تم بين الإمام فيصل وبين الوالي العثماني في العراق^(٣) ضد العدو المشترك ، محمد علي كانا هما الدافعين الرئيسيين لإرساله حملة جديدة تحت قيادة خورشيد باشا^(٤) .

وتأخذ الحملة في مسكلها الطريق التقليدي : ينبع - المدينة - الحناكية . وتغادر الحناكية في اليوم الثالث من شهر صفر سنة ١٢٥٤ هـ . متجهة نحو القصيم ، لتقطع المسافة في سبعة عشر يوماً ، حيث تصل إلى مشارف عنيزة في العشرين من نفس الشهر . وتسكر هناك خارج البلدة ، وماهي إلا أيام قلائل ، حتى شبت حرب عنيفة بينها وبين تلك البلدة هذه الحرب هي موضوع هذا البحث .

تعد هذه الحرب أول محك واختبار لقوات خورشيد باشا ولاسيما أنها حدثت في الوهلة الأولى من وصول هذه القوات إلى نجد وإلى القصيم بالذات ، كما أنها تعد واحدة من الملاحم التي زاد بها سكان وسط الجزيرة عن كيانهم ، وجزءاً لا يتجزأ من هذا التاريخ الحاسم . كذلك من الأمور

(٢) . عن حملة إسماعيل وخالد وهزيمتها . انظر الوثيقة التركية رقم ٥٤ ، حمراء (المرفق العربي) ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٣ جمادى الأولى ١٢٥٣ هـ . (تعميم مرسل لأهالي نجد بشأن هزيمة إسماعيل وخالد) ، نفس الوثيقة (مرفق) (خطاب مرسل لخالد بن سعود بأن لاينأثر بالهزيمة) ، الوثيقة التركية رقم ١٣ ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٠ رمضان ١٢٥٣ هـ . (تعرض من بين مواضع أخرى لهزيمة خالد وإسماعيل) ، عثمان بن عبد الله بن بشر . عنوان المجدي في تاريخ نجد . ج ٢ تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ . (الرياض : دار الملك عبد العزيز ، ط ٤ ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ، ص ص ١٤٠ - ١٥١ .

(٣) الوثيقة التركية رقم ٢٦١ ، حمراء (المرفق العربي «هـ») محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية بعابدين ، مؤرخة في ٢٣ شعبان ١٢٥٣ هـ . (كتاب من علي باشا والي بغداد إلى الإمام فيصل حول العمل على دعمه ومساندته ضد خالد بن سعود ومن معه) ، الوثيقة التركية رقم ٢٦١ ، (المرفق العربي) ، محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية بعابدين ، مؤرخة في ١٩ محرم ١٢٥٤ هـ . (وهي كتاب من الإمام فيصل إلى خورشيد باشا بشأن اتصالاته بعلي باشا والي بغداد) ، عبد الله الصالح العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، (الرياض : ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، ص ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٤) هو محمد خورشيد باشا قائد ألباني مستعرب جاء إلى مصر صغيراً وتعلم في مدارسها المدنية ثم العسكرية وكان في حملة محمد علي باشا التي أرسلها إلى الحجاز أولاً ثم أرسله محمد علي هذه المرة الأخيرة إلى نجد تقوية لجانب خالد بن سعود وإسماعيل آغا اللذين أرسلهما محمد علي باشا إلى نجد قبله أي قبل خورشيد وقد عينه محمد علي بعد ذلك وكيلاً للجهادية ، بمصر ثم عينه مديراً للدقهلية ، وتوفي خورشيد باشا المذكورة بالمتصورة سنة ١٢٦٥ هـ .

عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، (هامش للمحقق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ) .

التي تدخل ضمن نطاق أهمية هذه الحرب ، الاحتمال الكبير في أنها السبب الكامن الذي أبطأ بخورشيد خمسة أشهر ثينة عن مهمته العاجلة .

ولكن مع ذلك فالحادثة هذه لم تدرس من قبل الباحثين على الإطلاق وكل ما ذكر عنها ، هو هامش صغير في كتاب الدكتور عبد الله الصالح العثيمين (تاريخ المملكة العربية السعودية) (٥) ، وما كتبه صلاح الدين المختار ماهو إلا نقل يكاد يكون حرفياً كما هو مدون عنها في (عنوان المجد) للمؤرخ عثمان بن بشر مع خطأ في النقل سيشار إليه في مكانه (٦) .

وتقرير خورشيد باشا في الوثيقة التركية ، مصدرٌ أولي أشارت إليه ، وأبرزته هذه الدراسة لأول مرة ، إذ لم يكن معروفاً عن هذه الحرب سوى ما روته المصادر التاريخية المحلية فقط .

وهذه الحرب ، كما سيأتي ذات شقين : قتال داخل عنيزة ، ثم حصار لها من قبل جيش خورشيد . وتبرز أهمية الوثيقة بالنسبة للبحث ، في تغطيتها للشق الآخر ، (الحصار) ، والذي قصّرت فيه المصادر النجدية ، وبذا تكمل الصورة لهذه الحرب في شقيها .

وهذا البحث ماهو إلا محاولة لدراستها ، وإلقاء الضوء على مآحاط بها من غموض في بعض الجوانب ، ولا سيما في أسبابها ونتائجها ، وما انتهت إليه .

والمصادر التاريخية المتوفرة ، والتي كتبت عن هذه الحادثة ، تتباين بعض الشيء في تأريخ حدوثها . فالوثيقة التركية تشير إلى أن خورشيد باشا وصل إلى عنيزة في اليوم العشرين من شهر صفر سنة ١٢٥٤هـ ، وأن هذه الحرب اندلعت بعد ثلاثة أيام من وصوله ، وبالتحديد يوم الثلاثاء «ووصلنا في اليوم العشرين من الشهر إلى عنيزة آمينين سالمين ، فنصبنا الخيام في المعسكر ، خارج البلدة ، وبعد ذلك بثلاثة أيام ..» (٧) .

ويقول المؤرخ محمد بن عمر الفاخري «وفيه (١٢٥٤هـ) . سار خرشد باشا من المدينة فوصل إلى عنيزة لعشر يَقيَن من صفر ، فبعد نزوله بأيام حصل منافرة وجرت بينهم وقعة» (٨) ومن

(٥) ونص الهامش هو : «(٢) وقد حدثت بين خورشيد وأهل عنيزة مشكلة قتل بسببها تسعون رجلاً من جنده وخمسون من أهل تلك البلدة» ص ٢٤١ .

(٦) صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، ج ١ (بيروت : دار مكتبة الحياة ، ط ١ ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٧) الوثيقة رقم ٢٠٨ ، زرقاء ، محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٤ ربيع الأول ١٢٥٤هـ (تقرير مرفوع من خورشيد باشا يشرح فيه وقائع تحركه من المدينة - الحناكية وحتى عنيزة) ، وقد أشير إلى هذه الوثيقة اختصاراً بـ «تقرير خورشيد» . وقد وردت هذه الوثيقة ضمن الوثائق التي نقلها عبد الرحيم عبد الرحمن من وثائق عابدين : انظر عبد الرحيم ، عبد الرحمن عبد الرحيم . من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي ، ج ١ (١٢٣٤هـ - ١٢٥٦هـ/١٨١٩م - ١٨٤٠م) ، (الدوحة : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ص ٥٩٨ - ٦٠٤ ؛ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ، (القاهرة : ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص ٣٠٣ - ٣٠٦ .

(٨) محمد بن عمر الفاخري ، الأخبار النجدية ، تحقيق الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل ، الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود (د . ت) ، ص ١٧٤ .

هذا يتضح مدى تطابق الروایتين فيما يتعلق بتاريخ وصول خورشيد إلى عنيزة ، ومدى تقاربهما في تاريخ بداية هذه الحرب .

ورواية المؤرخ عثمان بن بشر فيها بعض الاختلاف الطفيف عن هاتين الروایتين إذ يقول : «وفي آخر صفر أقبل خرشد باشا من الحناكية بعساكره ... ونزل بلد عنيزة ... فلما كان في أول ربيع الأول ثار الحرب بين أهل عنيزة وعسكر خرشد»^(٩) ومن هذا يتضح أن ابن بشر قد أرخ قدوم خورشيد إلى عنيزة باخر شهر صفر مطلقاً دون تحديد دقيق ، كما هو في تاريخ الفاخري أو في الوثيقة التركية . وعيّن اليوم الأول من شهر ربيع الأول كبداية لتلك الحرب ، مخالفاً بهذا التأريخ ماجاء بالوثيقة التركية ومارواه الفاخري وبقية المؤرخين النجديين الآخرين كابن عيسى^(١٠) وابن بسام^(١١) . وعلى كل فالفرق بين هذين التاريخين أيام لاتزيد على الثلاثة .

أما المدة التي استغرقتها تلك الحرب أو بالأحرى الحصار ، فالوثيقة التركية تحددها كالاتي : «وهكذا أسفرت عن الحصار الذي استقرت نار الحرب فيه يومين وليلة»^(١٢) ويقول ابن بشر : «ثم ثار الحرب بين أهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام»^(١٣) وهاتان الروایتان متفقتان تقريباً . أما الفاخري وبقية المؤرخين النجديين فلا يعينون مدة محددة لفترة الحرب أو الحصار ، ولا يذكرون شيئاً عن هذا . ولكن توحى روايتهم وتسلسل الأحداث التي ذكروها بعد ذلك أن فترة الحرب كانت قصيرة . وهذا يتفق مع رواية ابن بشر وتقرير خورشيد بالوثيقة التركية . وخلاصة القول أن هذه الحادثة جرت في العشر الأواخر من شهر صفر ، واستغرقت مدة لاتتجاوز بحال من الأحوال ثلاثة أيام . ولا أدل على ذلك من تأريخ تحرير الوثيقة التركية ، والتي حوت تقرير خورشيد باشا عن هذه الحادثة والمؤرخة في ٤ ربيع الأول ١٢٥٤ هـ . ولتتبع مجريات تلك الحادثة ومحاولة رسم صورة لها فإن المصادر التاريخية المتوفرة تعطي انطباعاً بأن هذه الحرب كانت على مرحلتين :

الأولى

مباغطة أهل عنيزة لعساكر خورشيد في داخل البلدة ، في السوق ، وقتل الكثير من هؤلاء العساكر ، وتبع وطرد الباقين منهم خارج أسوار البلدة ، والذي سيشار إليه بوقعة السوق .

(٩) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

(١٠) إبراهيم بن صالح بن عيسى . تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من

٧٠٠ هـ : ١٣٤٠ هـ) (الرياض : دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر د . ت) ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(١١) عبد الله بن محمد البسام ، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، نسخة خطية ، نقلها عن الأصل المحفوظ لدى ورثة

المؤلف ، نور الدين شريعة عام ١٣٧٥ هـ ، ورقة ١٣٣ .

(١٢) تقرير خورشيد .

(١٣) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

الثانية

قيام خورشيد بحصار عنيزة وإعلان الحرب عليها وهي نتيجة طبيعية بعد البطش بجنوده . وتجمع المصادر على أن الشرارة الأولى للقتال شبت في وسط عنيزة وبالتحديد في السوق ، حيث كان بعض العسكر يتسوقون . ويقول خورشيد عن وقعة السوق هذه : «نزل جندي من الترك إلى السوق ، فنشب بينه وبين بدوي نزاع من أجل كرم ، فانتزع الجندي غدارته من خصره ، وأطلقها على البدوي فأرداه ، فسرعان ما استل الحاضرون من أهل البلدة ، سيوفهم وقتلوا مطلق الغدرة ، وهكذا شرع العراك بين من كان بالسوق من العساكر ، وأهل البلدة ، فما زالوا يتبارزون بالسيوف والغدارات ، حتى هلك من الفريقين بضعة رجال ، ثم طرد الأهليون باقي العساكر من البلدة ، وغلقوا أبوابها»^(١٤) .

وبجانب السبب ، الذي سيناقش فيما بعد ، يفهم من هذا الوصف مايلي :

- ١ - مكان الوقعة ، وهو السوق .
 - ٢ - أن القتال خفيف والوقعة بسيطة .
 - ٣ - أعداد القتلى من كلا الطرفين قليلة ، وتوحي بالتقارب .
 - ٤ - تعقب وطرده بقية الجند من البلدة ، وإغلاق الأبواب دونهم .
- ولكن ماذا يقول المؤرخون النجديون المعاصرون عن هذه الحادثة ؟ يصف عثمان بن بشر وقعة السوق هذه بمايلي : «وظهر يحيى^(١٥) من البلد وقصد خرشد في خيمته ، فلما أراد الدخول عليه أخذ سيفه قواويس الباشا على العادة أنه لا يدخل عليه أحد بسلاح ، فهرب خادم يحيى الذي معه إلى البلد ، وقال : أميركم قتل ، وكان جملة العسكر في وسط البلد يبيعون ويشترون ، فنهض عليهم أهل البلد ، وقتلوا كل من وجدوا منهم إلا رجلاً دخل بيتاً أو دكاناً فأخفاه صاحبه ، فسمع الباشا الصيحة في البلد ، فقال ليحيى : إن بلدكم حدث فيها شمطة ، وغمض رجل ليحيى فرمى عباته وهرب إلى البلد ، فعارضه في طريقه رجال من العسكر هاربين منها ، وهو في شدة الركض ، فرموه بالبنادق ، فسلمه الله تعالى ، ودخل بلده فإذا قد قتل فيها تسعون رجلاً»^(١٦) .

(١٤) تقرير خورشيد .

(١٥) تولى يحيى السلم إمارة عنيزة في شعبان عام ١٢٣٨هـ . بعد قضائه على عبد الله بن حمد الجمعي أمير عنيزة من قبل إبراهيم باشا ، والذي أخرج أهالي البلدة بعد رحيل الباشا . وعينوا بدلا عنه محمد بن حسن الجمل أميراً عليهم . وعندما أتى حسين بك إلى نجد عام ١٢٣٦هـ قضى على أمير عنيزة محمد بن حسن الجمل ، وأعاد عبد الله الجمعي إلى الإمارة . وبعد قدوم حسن بك أبو ظاهر في عام ١٢٣٧هـ إلى نجد ، وحربه لعنيزة ، وبعد أن دحرته المدينة وطرده ، كما سيأتي في هذا البحث ، قام يحيى السلم بقتل الأمير من قبلهم ، عبد الله الجمعي ، وتولى الإمارة في عنيزة وبايع الإمام تركي في عام ١٢٤٠هـ . واستمرت إمارته حتى عام ١٢٥٧هـ . عندما قتل في وقعة بقعاء صبرا . عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ص ٤٥٣ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ و ٢ ص ص ٣٦ ، ١٩٠ : إبراهيم بن صالح بن عيسى ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٥ .

(١٦) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ص ١٦٣ - ١٦٤ .

وعلى عادته موجزاً ، يقول محمد بن عمر الفاخري ، عن هذه الواقعة : «حصل منافرة وجرت بينهم وقعة من غير قصد قتل فيها مقتلة من العسكر نحو تسعين»^(١٧) ورواية المؤرخ إبراهيم بن عيسى قرية من رواية الفاخري «حصل بينه (خورشيد باشا) وبين أهل عنيزة قتال من غير قصد ، وقتل من العسكر نحو تسعين ومن أهل عنيزة عدة رجال»^(١٨) .

أما المؤرخ عبد الله بن بسام ، فيصف قتال السوق هذا بكلمات قليلة وبسيطة «فقام أهل عنيزة على من عندهم من العسكر فقتلوه في وسط البلد .. وقتل في هذه الفتنة من العسكر نحو تسعين رجلاً»^(١٩) .

ويمكن أن نستنتج مما أورده هؤلاء المؤرخون مايلي :

- ١ - ضراوة وقعة السوق هذه وشدتها على جند خورشيد .
- ٢ - هرب باقي العسكر من عنيزة بعد تعقبهم وطردهم .
- ٣ - عدد القتلى من جند خورشيد كبير ، تسعون قتيلًا .
- ٤ - عدد القتلى من عنيزة لم يذكره سوى ابن عيسى «عدة رجال» وهذا يدل على أن العدد قليل .

٥ - إن مكان الواقعة وسط البلد في السوق .

ويلاحظ هنا أن رواية هؤلاء المؤرخين تتفق مع رواية خورشيد في ثلاثة أمور وتختلف عنها في أمرين ، أما أوجه الاتفاق فهي :

- ١ - في عدد القتلى من عنيزة ، حيث اتفقت رواية ابن عيسى مع مذكره خورشيد .
 - ٢ - تعقب وطرد بقية العسكر إلى خارج البلدة وغلق الأبواب .
 - ٣ - مكان الواقعة وهو السوق .
- وأوجه الاختلاف هي :

- ١ - الاختلاف في وصف الواقعة ، ومدى ضراوتها ، أو بساطتها .
- ٢ - عدد القتلى من جند خورشيد .

فتقرير خورشيد عن قتال السوق هذا ، يعطي الانطباع ببساطته وقلة خسائره «شرع العراك .. فمزالوا يتبارزون بالسيوق والغدارات ، حتى هلك من الفريقين بضعة رجال» . فبضعة رجال من القتلى ، نتيجة معقولة لوقعة بسيطة ، لاتعدو أن تكون عراكاً ، ومبارزة بالسيوف والغدارات ولا يتوقع المرء غير هذا . ولكن خورشيد بعد روايته المبهمة هذه عن الخسائر ، يستطرد كما مر قائلًا :

(١٧) محمد بن عمر الفاخري ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

(١٨) إبراهيم بن صالح بن عيسى ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

(١٩) عبد الله بن محمد البسام ، مرجع سابق ، الورقات ١٣٣ ، ١٣٤ .

«ثم طرد الأهليون باقي العساكر من البلدة ، وغلقوا أبوابها» . وهنا تختلف الصورة ، فطرد بقية العسكر وتعقبهم وإخراجهم من البلدة ، وإغلاق الأبواب دونهم ، نتيجة لانتناسب مع قتال بسيط بالإضافة إلى هذا التناقض ، في رواية خورشيد نفسها ، مناقضتها ، فيما يتعلق بعدد قتلى جنده ، لرواية المؤرخين النجديين المعاصرين ، تسعون قتيلًا - بضعة رجال من الفريقين . وأمام هذا الاختلاف لا يسع المرء إلا أن يتحقق في الأمر ملياً بغية الوصول إلى الحقيقة ، وهنا يتوجب العودة إلى الوثيقة مرة أخرى .

ففي المراحل الأخرى من القتال ، والتالية لوقعة السوق هذه دأب خورشيد في تقريره على تضخيم أعداد القتلى من أهل عنيزة إلى حد المئات بينما قتلى جيشه لا يتجاوزون الاثني عشر . أما هنا وفيما يتعلق بخسائر وقعة السوق ، فإنه يختصر جداً ، ويُجمل ويُغفل ذكر الأعداد إغفالاً تاماً على خلاف ما فعله في المراحل الأخرى من الحرب . فطريقة ذكره لقتلى الوقعة ، بالشكل الذي أوحى بقلة عددهم ، وربما بتساويهما لدى الطرفين ، مع ما قاله المؤرخون النجديون عنها ، مؤشراً على أن الهزيمة في جيشه هذه المرة ثقيلة والقتلى كثيرون . وهذا يتناسب ويتماشى مع عبارته «ثم طرد الأهليون باقي العساكر من البلدة ، وغلقوا أبوابها» ، فهذه العبارة بحد ذاتها تدل على هزيمة جند خورشيد هزيمة ساحقة ، تلاها تعقب وطرد لمن لم يقتل منهم ، ولو أن الأمر لم يتعد ، كما قال خورشيد بضعة رجال من الفريقين ، لأصبحت نتيجة الوقعة متكافئة ، ولما لاذ جنده بالفرار ، وأغلقت دونهم الأبواب . وقولنا هذا ينسجم مع رواية المؤرخين النجديين . فابن بشر ، كما مر ، يقول : إن أهل عنيزة قتلوا جميع من ظفروا به من جند خورشيد إلا رجلاً دخل في حماية صاحب بيت أو دكان فأخفاه ، أو من هرب . فالقتال كان عنيفاً وقوياً وبالتالي كان عدد القتلى كبيراً ، تسعين رجلاً ومن السياق يفهم أن ابن بشر يقصد تسعين رجلاً من رجال خورشيد ، وهو مانص عليه الفاخري صراحة ، وهو الرقم الذي ذكره كل من ابن عيسى وابن بسام كما تقدم .

وهنا تبرز نقطة جديرة بالنقاش وهي إجماع هؤلاء المؤرخين على ضخامة الخسائر في جند خورشيد والذي على ما يبدو ، حاول إخفاءه : وإجماعهم أيضاً ، بما فيهم خورشيد ، على ضالة عدد خسائر عنيزة في هذه الوقعة . فما السر في ذلك ، وهو قتال ضار كما صوره ابن بشر يتوقع أن تكون خسائره كبيرة في كلا الجانبين ؟ .

يبدو أن السبب وراء هذا أن وقعة السوق كانت عبارة عن هجوم كاسح من قبل أهل عنيزة على جند خورشيد ، الذين فوجئوا وأخذوا على غرة ، وبشكل مباغت ، في قتال لم يستعدوا له أصلاً وفي بلدة يجهلون اتجاهاتها ، وطرقاتها ومداخلها ومخارجها . وأصبحوا في موقف المدافع الهارب أمام خصم مهاجم تساعده الظروف المحيطة ، مما جعلهم في موقف صعب أمام غليان أهل البلدة الذين صعدوا لنباً قتل أميرهم غير المتوقع ، والذي أغضبهم وحول عنيزة إلى طوفان وثورة عارمة ، عصفت بهؤلاء الجند وأبادت جلهم انتقاماً للأمير وتشفيماً من هذا العدو .

وهذا التعليل قد يفسر لنا لماذا كان عدد القتلى الذين سقطوا من أهل عنيزة في وقعة السوق هذه قليلاً مع شدتها إلى درجة أن المؤرخين النجديين لم يعيروها انتباهاً ، عدا ابن عيسى ، الذي اتفقت روايته مع مذكره خورشيد .

وكنتيجة طبيعية لوقعة السوق هذه ، والتي كانت وطأتها شديدة على جنده ، طوق خورشيد عنيزة وحاصرها . والمؤرخون النجديون لا يذكرون هذا الحصار ولا يوردون عنه شيئاً ، عدا ابن بشر ، وابن بسام ، وباستثناء مانص عليه ابن بشر صراحة من حصار لقصر الضبط ، خارج عنيزة ، فحتى هذين المؤرخين لا يثيران بشكل مباشر إلى أي حصار لعنيزة من قِبَل هذه القوات ومن خلال روايتهما لا يفهم أن خورشيد حاصر عنيزة فعلاً ، إلا استنتاجاً من السياق أو استنباطاً لبعض العبارات كما في (عنوان المجد) إذ يقول ابن بشر : وهو في معرض حديثه عن أمير عنيزة (يحيى السليم) وكيفية تسلله وهربه من معسكر خورشيد إلى بلده ، بعد علمه باندلاع القتال فيها «وغمض رجل ليحيى فرمى عباته وهرب إلى البلد ، فعارضه في طريقه رجال من العسكر هارين منها .. ودخل بلده .. ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والخطاطيب»^(٢٠) في من كان خارج البلد فقتلوهم ، وحصروا أهل قصر الضبط المعروف خارج عنيزة .. ثم ثار الحرب بين أهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام»^(٢١) فابن بشر هنا ، لم ينص على حصار ما بشكل مباشر وصرح ، سوى حصار قصر الضبط . ولكن روايته هذه أو عباراته ، توحي أن هناك حالتين : حالة داخل عنيزة ، وحالة خارجها فالعسكر الهاربون من عنيزة يلاقون أميرها مقبلاً ، وهو في شدة الركض ، ويحاولون إطلاق النار عليه ، ولكنه «دخل بلده» . وهذه إشارة من ابن بشر إلى أن الخطر زال عنه ، وأنه بلغ مأمنه بدخوله بلده التي هرب منها الجند مطروداً . وأوصدت بواباتها بدليل أن جند خورشيد في المعسكر ، الذين وصلهم الخبر بما جرى على زملائهم داخل البلدة ، وثار غضبهم ، لم يجدوا أمامهم سوى من هو خارج هذه البوابات والأسوار ، ففتكوا بهم «ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والخطاطيب في من كان خارج البلد فقتلوهم» وقول ابن بشر بعد ذلك : ثم ثار الحرب .. الخ إشارة واضحة للحصار .

وابن بسام يقول : «وهرب الأمير يحيى إلى البلد فدخلها ولما علم العسكر الذين خارج البلد بما صار على أصحابهم الذين داخل البلد قاموا على من وجدوه خارج البلد من أهل عنيزة فقتلوهم»^(٢٢) وما قيل عن رواية ابن بشر ينطبق على رواية ابن بسام هذه .

ومن هذا يتضح أن ذكر الحصار لم يرد صراحة في روايتي هذين المؤرخين ، وإنما يفهم ضمناً .

(٢٠) الحشاحيش : هم من يذهب إلى خارج البلدان للحصول على العشب والكلأ وجمعه .

أما الخطاطيب : فهم الخطابون .

(٢١) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

(٢٢) عبد الله بن محمد البسام ، مرجع سابق ، الورقات ١٣٣ ، ١٣٤ .

وعلى عكس هؤلاء المؤرخين تعطي الوثيقة التركية - كما سيأتي - وصفاً واضحاً ومفصلاً لهذا الحصار كما ورد في تقرير خورشيد .

ولكن كيف بدأ الحصار ؟

بعد هرب بقية جند خورشيد ، الفارين والناجين من وقعة السوق ، إلى خارج البلدة ، وتمكن الأمير يحيى من التسلل خارج معسكر خورشيد ، متبعاً الحيطه والحذر إذ ترك عباءته موهاً خورشيد أن الأمر لايتعدى لحظات ويعود ، ولكنه لايعود إليه بل إلى عنيزة التي يدخلها وقد أخذ مقاتلوها والمدافعون عنها ، من الرماة وغيرهم ، أماكنهم في أبراجها وحصونها توقفاً للخطر المرتقب . ويقول خورشيد عن هذا التأهب : «ثم طرد الأهليون باقي العساكر من البلدة ، وغلقوا أبوابها ، وبدر المبادرون إلى بنادقهم ، فما راعنا إلا أن رأيانهم ، يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة» (٢٣) . هذا فيما يتعلق بعنيزة واستعداداتها لهذا الحصار .

أما فيما يتعلق بالطرف الآخر ، جيش خورشيد فكما يُستقرأ من الوثيقة التركية قد أطبق الحصار على عنيزة من جميع الجهات ، وبشكل محكم طبقاً لرواية خورشيد ، وإن شاب هذا الإحكام وبدا عليه بعض الخلل ، والذي سيناقش في أسطر قادمة . وخورشيد يعطي وصفاً مفصلاً لحصار جيشه لعنيزة إذ يقول : «فبادرنا من فورنا بالجهادية ، فحملت سلاحها وبفرسان حسن آغا رئيس الأدلاء ، وبرجالة بكر آغا ، رئيس الرجالين ، فانضموا جميعاً تحت اللواء ، ورحنا باديء الأمر إلى البروج ، التي في جوف البساتين الغربية ، إلى البلدة ، التي استولينا على عدة بروج منها ، أجلينا عنها الذين كانوا (متحصنون) فيها ، وشغلنا كلاً منها بجنود من الرجالة ، يعون بحمايته ، ثم خبأنا بقية الرجالة بين النخيل ، وعبأنا أورطة ، ومدفعاً في المحل الذي يقال إنه (باطن) الواقع في شمال البلدة ، وأدخلنا مدفعاً آخر ، مع أربعة البلوكات الجهادية في القصر المسمى قصر الصفا المواجهة لباب عنيزة الأصلي ، وأقمنا مدفعاً ثالثاً ، ونحو مائة وخمسين فارساً في النخيل ، التي عن يمين القصر المذكور ، ثم حصرنا جوانب البلدة ، بما بقي من الخيل ، ولما رأينا أهل البلدة ، منهمكين في إطلاق البنادق ، من الداخل لم نجد بُدّاً ، من تخويفهم فأخذنا نطلق عليهم المدافع ، من ثلاث (نواحي) ، واستمر الضرب نهائياً ، وليلاً ، منذ ذلك اليوم الذي هو يوم الثلاثاء حتى اليوم التالي : يوم الأربعاء ، وكانوا يحاولون أحياناً الخروج والهجوم علينا ، ولكن كلما خرج منهم خارج ، انبرى له الفرسان القائمون في النخيل ، فعبجلوا إليه وقتلوه» (٢٤) .

(٢٣) تقرير خورشيد .

(٢٤) المرجع السابق .

ونظراً لأهمية الدور الذي تلعبه الأبراج والحصون في مثل هذه الحرب فجيش خورشيد يسارع إلى احتلال بعض منها «ورحنا باديء الأمر إلى البروج ، التي في جوف البساتين الغربية ، إلى البلدة ، التي استولينا على عدة بروج منها» . ويتضح أن هذا الاستيلاء قد تم في الساعات الأولى من الحصار . ولا يذكر خورشيد أنه استولى على أي أبراج أخرى غير هذه .. وتحت الأبراج هذه ، في البساتين الواقعة إلى الغرب من عنيزة نُشِرَ أفراد فرقة «الرجالة» بين النخيل وفي «الباطن» ويقصد البويطن^(٢٥) وضع مدفعاً وعباً أورطة . أما في قصر الصفا ، المقابل لبوابة عنيزة الرئيسية ، فقد وضع مدفعاً مع «البلوكات الجهادية الأربعة» . وعلى يمين قصر الصفا هذا ، وضع مدفعاً ثالثاً ونحو مائة وخمسين فارساً منتشرين بين النخيل . وحاصر بقية جهات البلدة الأخرى ، بما تبقى لديه من الفرسان .

وهنا تبدو ملاحظة ، فقد أشار خورشيد إلى رماة البلدة وإلى أسوارها وأبراجها أكثر من مرة «وبَدَرَ المبادرون إلى بنادقهم ، فما راعنا إلا أن رأيناهم ، يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة» . وأشار أيضاً عند تعليقه لمواصلة ضرب المدافع للبلدة دون انقطاع «ولما رأينا أهل البلدة ، منهمكين في إطلاق البنادق» . وأشار مرة ثالثة إلى الأبراج والأسوار بقوله «وتهدمت البروج ، والأسوار ، التي اعتزوا بها ، فإذا هم يائسون من كل عاصم» . وكما هو معروف فإن هذه الأبراج والأسوار تحيط بمدن نجد وقراها من جميع الجهات ، والذي ذكره خورشيد نفسه «فما راعنا إلا أن رأيناهم ، يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة» . وإذا عرف ، من خلال تقرير خورشيد ، أنه احتل بعض هذه الأبراج «التي استولينا على عدة بروج منها» ، والتي تطل على منطقة ليست حساسة وبعيدة عن البوابة الرئيسية وقلب معترك القتال ، اتضح أن جميع أبراج البلدة الأخرى وسورها تحت سيطرة محاربي البلدة ورماتها .

ويبدو أن هؤلاء الرماة الكامنين بهذه الأبراج والأسوار قد أدوا دوراً هاماً في الحرب وفي الدفاع عن عنيزة وإلحاق الضرر بالجيش المحاصر ، ولا أدل على هذا من قول خورشيد «وتهدمت البروج ، والأسوار ، التي اعتزوا بها» وهذه العبارة وبما انطوت عليه ، هي إثبات للدور الهام والفعال الذي أدته هذه الأبراج والأسوار ، وَمَنْ كمن بها من المقاتلين الرماة . ولولا متانة هذه الدفاعات وقوتها لما اعتز بها أهل عنيزة كما قال خورشيد . وهناك مؤشر آخر يؤكد على دور الرماة في أنهم لم يكتفوا بمجرد الدفاع عن البلدة ، بل نالوا من الجيش المحاصر «ولما رأينا أهل البلدة ، منهمكين في إطلاق البنادق من الداخل لم نجد بُدّاً ، من تخويفهم فأخذنا نطلق عليهم المدافع ، من ثلاث

(٢٥) البويطن الآن نخيل وبساتين مزدهرة . ويقع إلى الجنوب الغربي لمدينة عنيزة . وكان يسكنه في السابق العفالق من قحطان والذين ارتحلوا منه وعمرؤا بلدة الخبر . محمد بن ناصر العبودي . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد القصيم) القسم الثاني (ب - ج) (الرياض : دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ص ٦٣٥ .

(نواحي) واستمر الضرب نهراً وليلاً». وعبارة خورشيد هذه ، تحتوي على بعض التناقض فهو يطلق مدفعه على البلدة من ثلاث نواج ، ويضرب بشكل متواصل نهراً وليلاً ، رداً على رماة عنيزة «المنهمكين في إطلاق البنادق» وهذا شيء طبيعي . ولكن تبريره لهذا القصف الكثيف من مدافعه والمتواصل ، أنه مجرد إخافتهم «لم نجد بُدّاً من تخويفهم» أمر مناقض . فمن الممكن أن يكون التخويف لساعة أو ساعتين أو ثلاث ، أو العدد من الساعات ، أما أن يكون الضرب مكثفاً ومتواصلاً نهراً وليلاً طوال مدة الحصار ، فلا يتوقع المرء إلا أن تكون حرباً لحرب مضادة قوية ، ويبدو أن مما زاد دور الرماة قوة اتخاذهم زمام المبادرة ، إذ أن الحالة بعد وقعة السوق لا تتطلب غير ذلك . فمقاتلو البلدة ورماتها ، في تعقبهم للجند الناجي والفار ، انطلقوا بنفس السرعة إلى الأبراج والأسوار ، وبنفس المباغتة صوبوا بنادقهم إلى معسكر العدو . وهذا يستوحي من تقرير خورشيد ، في معرض كلامه بعد وقعة السوق «ويدر المبادرون إلى بنادقهم ، فما راعنا إلا أن رأيناهم يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة» ويستطرد «ولما رأينا أهل البلدة منهمكين في إطلاق البنادق ...» .

ويقول خورشيد : «وكانوا يحاولون أحياناً الخروج والهجوم علينا ، ولكن كلما خرج منهم خارج ، انبرى له الفرسان القائمون في النخيل ، فعجلوا إليه وقتلوه ، .. وهكذا أسفرت .. عن (مأثني) هامة قتل أصحابها عند خروجهم» . والفرسان القائمون في النخيل ، حسب منطق الوثيقة ، هم فرسان حسن آغا وعددهم مائة وخمسون فارساً ، وكانوا منتشرين بين النخيل التي عن يمين قصر الصفا ، المواجه لبوابة عنيزة الرئيسية ، شمال البلدة . ويبدو أن المهاجمين الخارجين من البلدة ، والذين أشار إليهم ، يبدو أنهم من فرسان عنيزة وخيالتها وبعض المشاة . فمهاجمة الخصم على هذه الحالة تتطلب السرعة والخفة ، وخير من يؤدي هذه المهمة هم الفرسان ومن على شاكلتهم . ويتوقع أن يكون خروجهم من البوابة الرئيسية ، المقابلة لقصر الصفا ، والكامن عن يمينه فرسان حسن آغا ، والذين نازلهم هؤلاء . ومجرد اعتراف خورشيد بأن مقاتلين خرجوا من عنيزة ، وهاجموا جيشه ، دليل على وجود ثغرات وخلل في حصاره إذ تمكن هؤلاء من اختراق أهم نقاطه وهي المنطقة المحيطة ببوابة عنيزة الرئيسية والمواجهة لها . وكلام خورشيد هنا يشير إلى حقيقة ربما أراد أن يتحاشى ذكرها ، وهي أنه في أثناء الحصار كان هناك مناجزات من قبل فرسان عنيزة ورجالها لجيش خورشيد ، المعسكر خارج البلدة ، يقابلها تصد معاكس من قبل فرسان الحملة . وهكذا يبدو واضحاً للعيان أن قتالاً بين الفرسان وغيرهم جرى خارج أسوار البلدة ، ولكن خورشيد يروي هذا القتال من طرف واحد ، إذ يقول بأن فرسانه عجلوا إلى كل خارج مهاجم وقتلوه . وهنا يحسن مناقشة هذه الرواية «عجلوا إليه وقتلوه» هكذا وكأنه أعزل بلا سلاح ، ونسي خورشيد أن حاضرة نجد وباديتها من أمهر أهل الجزيرة في ركوب الخيل وفن الفروسية ، و لهم باع في حرب المشاة

وماشابهها^(٢٦). ويفهم من روايته أن فرسانه أو بالأحرى فرسان حسن آغا، الذين كانوا منتشرين بين النخيل، كانوا يباغتون المهاجمين ويعجلون إلى قتلهم دون أن يفتن هؤلاء إلى وجودهم. والمتمعن في هذه الحادثة والحالة، يتبين له أن خورشيد في هذه المرة فات عليه - وهو القائد العسكري مهمة الأبراج وماتوئديه، بجانب وظائفها الأخرى، من مراقبة دقيقة ومسح شامل للمنطقة المحيطة خارج أسوار البلدة، والتي لا يمكن أن تغفل عن وجود مثل هؤلاء الفرسان، وبالتالي يأخذ المهاجمون من عنيزة حذرهم وأهبتهم لهم.

ومن الصورة هذه، فالمرء لا يتوقع إلا أن يكون ماجرى خارج الأسوار ليس إلا قتالاً، ومناجزات، قد تكون متكافئة، والخسائر فيها ليست على طرف واحد كما صورها خورشيد. وإذا صح الرقم الذي ذكره عن عدد قتلى البلدة، فالقتال كثيف والمركة دامية، إذ يتوقع أن خسائر جيش خورشيد تقارب هذا الرقم زيادة أو نقصاً، إلا أن يكون المهاجمون مسلوبي الإرادة والقدرة، وتنقصهم الخبرة فتحصدتهم فرسان حسن آغا كما أراد أن يصورهم خورشيد.

ولكن يبدو أن الحقيقة ليست كذلك، فمع أهمية هذا القتال إلا أن نتيجة كهذه أي مائتي قتيل ومن طرف واحد فقط، ربما فاقت حجمه كما بدت غريبة. ورقم خورشيد هذا، وإن بدا مبالغاً فيه، إلا أنه قد يصدق، ولكنه على فئة أخرى، غير الخارجين لغرض الهجوم على جيش خورشيد، على أناس طبيعة أعمالهم تتطلب أن يكونوا خارج البلدة معظم الوقت، والذين لسوء حظهم، كانوا كذلك عند قيام هذه الفتنة، قال ابن بشر: «ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والخطاطيب في من كان خارج البلد فقتلوهم، وحصروا أهل قصر الضبط المعروف خارج عنيزة وقتلوا أهله كلهم وهم نحو (خمسون) رجلاً».

فالقتل، وقع على من كان أصلاً خارج أسوار عنيزة لظرفه الخاص، لا على من خرج بعد ذلك لغرض المناجزة والهجوم. وهنا يكمن الفرق، إذ أن جند المعسكر، عندما علموا بوقعة السوق، لم يجدوا أمامهم خارج الأسوار سوى «الحشاحيش والخطاطيب» ومن على شاكلتهم، ففتكوا بهم. وهذا قد يفسر ضخامة العدد الذي ذكره خورشيد، والذي يمثل هؤلاء جُلّه. هذا مع حذف قصر الضبط وقتلاه الخمسين، والذي سيناقش بعد أسطر.

ولكن ماهي نتيجة هذا الحصار؟

يخصي خورشيد خسائره وخسائر عنيزة كما يلي: «وهكذا أسفرت عن الحصار الذي استقرت

(٢٦) ج. ح. لورير. دليل الخليج (القسم الجغرافي) ج ٥ ترجمة قسم الترجمة - بمكتب أمير دولة قطر، (الدوحة: مطابع علي بن علي، د. ت)، ص ١٨٥٥، عبد الله الصالح العثيمين. بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، (الرياض: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ص ٢٢٧ - ٢٢٨، منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية: (عهد عبد الله بن سعود ونهاية الدولة السعودية الأولى فترة الضياع) (د. م. د. ت)، ص ٨٤.

نار الحرب فيه يومين وليلة ، عن (مأتي) هامة ، قتل أصحابها عند خروجهم ، وعن فتك المدافع بما ينيف على مائتي قتيل أو جريح من بين القابعين في الداخل»^(٢٧) . وعن خسائر جيشه قال : «وبلغ عدد الذين توفوا في هذه المعركة من جنودنا ، اثني عشر رجلاً بين جهادي ، وفارس ، وراجل ، فإذا أضفنا إلى هذا العدد ثمانية عشر مجروحاً ، كانت جملة المصابين منا ثلاثين على أن جراح رجالنا لاتنذر بسوء ، وعمّا قريب تلتئم ويبرأ أصحابها»^(٢٨) .

إذن ، وطبقاً لهذه الرواية ، فحصوله خسائر جيش خورشيد فقط اثنا عشر قتيلاً ، وثمانية عشر جريحاً ، يقابلها من عنيزة مايقارب الأربعمئة ، قتل مائتان منهم خارج أسوار البلدة ، وحصدت المدافع مائتين آخرين «من بين القابعين في الداخل» .

ولكن ماذا يقول المؤرخون النجديون ، المعاصرون لهذه الحادثة ، عن نتائجها ؟ الفاخري ، يحصي خسائر عنيزة بنحو خمسين قتيلاً^(٢٩) ، وابن بشر يعين هؤلاء الخمسين ، بأنهم أهل قصر الضبط ، أو منزلة الضبط كما يصفها ابن بسام^(٣٠) . يقول ابن بشر : «ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والخطاطيب ، في من كان خارج البلد فقتلوهم ، وحصروا أهل قصر الضبط المعروف خارج عنيزة ، وقتلوا أهله كلهم وهم نحو (خمسون) رجلاً»^(٣١) . وإذا عرفنا أن «منزلة» تعني : حي ، وأن الضبط حي معروف حتى الآن من أحياء عنيزة^(٣٢) . فمن المتوقع أن يكون ضمن القتلى الخمسين هؤلاء ، عدد من المدنيين غير القادرين على حمل السلاح ، بالإضافة إلى مذكره ابن بشر ، من فتك العسكر بمن وجدوه خارج الأسوار من «الحشاحيش والخطاطيب» . ومن هذا يتضح أن عدد المائتي قتيل ، الذين أشار إليهم خورشيد بأنهم قتلوا خارج عنيزة ، يحوي إلى جانب المهاجمين الحقيقيين ، أعداداً كثيرة ، إن لم يكن غالبهم ، من المدنيين الذين راحوا ضحية غضبة الجند ، إثر وقعة السوق ، حيث باغتهم وهم خارج أسوار البلدة ، وإلى جانب هذا ، فمن بين المائتي قتيل وجريح «من بين القابعين في الداخل» أي داخل عنيزة ، والذين فتكت بهم المدافع ، يتوقع المرء أعداداً كبيرة من المدنيين العزل ، قد تفوق أعداد قتلى الجيش المحارب ، لتحصن هؤلاء ، وانكشاف أولئك .

(٢٧) تقرير خورشيد .

(٢٨) المرجع السابق .

(٢٩) محمد بن عمر الفاخري ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

(٣٠) عبد الله بن محمد البسام ، مرجع سابق ، ورقة ١٣٤ .

(٣١) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

(٣٢) يقول الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ، المدير العام لمديرية المعارف سابقاً ، والمتوفي في رجب سنة ١٣٨٥هـ . رحمه الله تعالى ، مانعه : «وأما إمارتها (عنيزة) فقد مضى عليها قريب من مائتين وخمسين (٢٥٠) سنة وهي تبع للجناح ، ليس فيها أمير ، ولا يحيط بها سور واحد . والجناح ثلاث دير : الضبط ديرة ، والخريزة ديرة ، ولها سور خاص ، والمليحة ديرة ، ولها سور خاص ، وكذلك العقيلية لها سور خاص وأصبحت هذه القرى كلها بلدة واحدة تسمى : «عنيزة» إبراهيم بن صالح بن عيسى ، مرجع سابق ، الملحق الثاني ، ص ٢٣٢ .

ويخلص خورشيد في تقريره إلى القول بأن أهل عنيزة «لم يجدوا إلى الفرار سبيلاً ، ولا من التسليم محيصاً» ولكن قبل مناقشة هذه النتيجة ، يجدر هنا إلقاء الضوء على الأسباب التي أدت إلى هذه الحرب .

فخورشيد ، في تقريره ، يُرجع السبب في اندلاعها إلى نزاع نشب بين أحد جنوده الأتراك وبين أحد الأعراب في السوق ، إذ يقول : «ووصلنا في اليوم العشرين من الشهر إلى عنيزة آمين سالمين ، فنصبنا الخيام في المعسكر ، خارج البلدة ، وبعد ذلك بثلاثة أيام ، نزل جندي من الترك إلى السوق ، فنشب بينه وبين بدوي نزاع من أجل كرم ، فأنزع الجندي غدارته من خصره ، وأطلقها على البدوي فأرداه ، فسرعان ما استل الحاضرون من أهل البلدة ، سيوفهم وقتلوا مطلق الغدارة ، وهكذا شرع العراك بين من كان بالسوق من العساكر ، وأهل البلدة» (٣٣) . والحادثة هذه بلا شك تعتبر سبباً كافياً لنشوب مثل هذه الحرب . فحساسية الموقف وتوتره ، مع الشعور المعادي لأولئك الجند ، جعل الرد سريعاً ، وحازماً ، على ذلك الجندي المعتدي ، وفرصة اهتبلها أهل البلدة ، للنيل من ذلك العدو والإيقاع به .

ولكن المصادر المحلية ، في المقابل ، تورد سبباً آخر يختلف تماماً عما أورده خورشيد هنا . فكلٌّ من الفاخري ، وابن عيسى ، يردان سبب نشوب هذا القتال إلى عامل الخطأ غير المقصود ، وعدم التأكد ، وروايتاهما ، تقريباً ، متماثلتان . فالفاخري يقول : «وجرت بينهم واقعة من غير قصد» (٣٤) . ويقول ابن عيسى : «حصل بينه (خورشيد) وبين أهل عنيزة قتال من غير قصد» (٣٥) . ويبدو أن ابن عيسى نقل روايته عن الفاخري . ورواية هذين المؤرخين مختصرة ، مبهمة ، لا يفهم منها إلا أن هذه الحرب وقعت عن طريق الخطأ غير المقصود . والذي توضحه وتورده مفصلاً ، روايتا كلي من ابن بشر ، وابن بسام . يقول ابن بشر : «وسبب ذلك أنه سرق لخرشد عمانيتين من الركائب ، .. فجعل خرشد حرساً يدورون بالليل خارج المعسكر فأمسكوا رجلاً من أهل عنيزة خارجاً من البلد إلى نخله في الليل ، فقال لهم : أنا من أهل هذا البلد ، وأنا ظاهر إلى نخلي فمشوا معه إلى نخله ، فلما أقبل على النخل تكلم لأبيه فجاء إليه فأمسكهما المعسكر وعدلوا بهما إلى ناحية المعسكر وذبجوهما ونقلوهما إلى النفوذ المقابل للبلد ، ودفنوهما فيه ، فلما أصبح أهل النخل ولم يأت إليهم أبوه ولا أخوهم تبعوا أثرهم فوجدوهم مدفونين فأخرجوهم ، فقال يحيى أمير عنيزة : ارموهم عند خيمة خرشد ، وظهر يحيى من البلد وقصد خرشد في خيمته ، فلما أراد الدخول عليه أخذ سيفه قواويس الباشا على العادة أنه لا يدخل عليه أحد بسلاح ، فهرب خادم يحيى الذي معه إلى البلد ، وقال : أميركم قُتل ، وكان جملة المعسكر في وسط البلد يبيعون ويشترون ، فنهض عليهم أهل

(٣٣) تقرير خورشيد .

(٣٤) محمد بن عمر الفاخري ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

(٣٥) ابراهيم بن صالح بن عيسى ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

البلد ، وقتلوا كل من وجدوا منهم إلا رجلاً دخل بيتاً أو دكاناً فأخفاه صاحبه ، فسمع الباشا الصيحة في البلد ، فقال ليحيى : إن بلدكم حدث فيها شمطة ، وغمض رجل ليحيى فرمى عباته وهرب إلى البلد ، فعارضه في طريقه رجال من العسكر هارين منها ، وهو في شدة الركض فرموه بالبنادق^(٣٦) ، فسلمه الله تعالى^(٣٧) . ويروي ابن بسام رواية مماثلة ، مع اختلافات في بعض التفاصيل ، من أهمها قوله : «فسمع الأمير يحيى الصيحة في وسط البلد وهو جالس عند الباشا في خيمته وترك عباته ، وذهب كأنه يقضي حاجة وهرب إلى البلد ودخلها»^(٣٨) . كما نص على غرض زيارة يحيى لخورشيد «فلما كان صبيحة تلك الليلة خرج يحيى بن سليمان بن زامل أمير بلد عنيزة وقصد خورشيد باشا في خيمته للشكاية عليه مما فعله العسكر في قتلهم الرجلين المذكورين»^(٣٩) والذي فهم ضمناً من رواية ابن بشر .

وعند دراسة رواية خورشيد ، ورواية المؤرخين النجديين ، فيما يتعلق بالسبب المباشر لاندلاع الحرب ، يتضح أنه مع الاختلاف الجذري بينهما ، إلا أنه لا ينفي أحدهما ورود الآخر ، وإمكانية حدوثه . فأحد السببين قد يكون كافياً لقيام مثل تلك الحرب ، ووقوع كليهما معاً أمر ممكن ، لا يوجد ما ينفيه . غير أن المتمعن بهذه الحادثة وملابساتها ، لا يمكنه إلا أن يرجح السبب الذي أورده المؤرخان ، ابن بشر ، وابن بسام ، وذلك انطلاقاً من ضراوة وقعة السوق وشدها ، والتي لم يتوقع لها أن تكون كذلك ، إلا بحادث جَلَل ، وهو الالتباس بمقتل الأمير ، ورد الفعل العنيف والمفاجيء ضد جند خورشيد . هذا الالتباس الذي تأيد بالرواية المختصرة للمؤرخين النجديين الآخرين ، كالفخري ، وابن عيسى ، واللذين أشارا إليه بوقعة أو حرب من غير قصد ، حيث لا يعتقد أن السبب الذي أورده خورشيد وحده كاف لقيام مثل ذلك الغليان العارم في سوق عنيزة . والذي فصله ابن بشر ، وألح إليه خورشيد .

والمتمعن في رواية كل من ابن بشر وابن بسام ، توقفه ملاحظة أو ملاحظتان عابرتان ، وفي نفس الوقت على جانب من الأهمية :

الأولى : توقيت اندلاع قتال وقعة السوق ، الأمير يحيى لدى خورشيد في معسكره يفاوضه في أمر القتلين ، والجند منتشرون في السوق لشراء بعض حاجياتهم . هذا التوقيت ليس من مصلحة خورشيد ولا عنيزة . والطرفان ليس من مصلحتهما أن تشب الحرب في تلك الساعة بالذات . فهل يكون هناك طرف ثالث أراد لهذه الحرب أن تنور ويكون من مصلحته ذلك ؟

(٣٦) يقول صلاح الدين المختار ، وتمكن يحيى من الهرب بعد أن أطلق الجند عليه الرصاص ولكن الله سلمه ، وقد يفهم من هذا أن الجند الذين أطلقوا الرصاص عليه هم جند المسكر ، بينما هم الجند الهاربون من البلدة والذين قابلوه في الطريق ، كما نص على ذلك ابن بشر هنا . صلاح الدين المختار ، مرجع سابق ، ص ٢٩٧ .

(٣٧) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣٨) عبد الله بن محمد البسام ، مرجع سابق ، ورقة ١٣٣ .

(٣٩) المرجع السابق نفسه .

هذا احتمال وارد ، لكن الجزم به دون دليل ملموس أمر غير ممكن ، إذ قد يكون الأمر كما روته وقصته هذه المصادر ليس إلا .

أما الملاحظة الثانية : فهي اختلاف ابن بسام مع ابن بشر فيما يتعلق بمن علم بالقتال في البلدة ، وسمعه أولاً ، أهو خورشيد باشا أو الأمير يحيى ؟ فابن بسام ، كما مر ، يروي بأن يحيى هو الذي سمع بالقتال وشعر به «فسمع الأمير يحيى الصبيحة في وسط البلد وهو جالس عند الباشا في خيمته وترك عباته ، وذهب كأنه يقضي حاجة ، وهرب إلى البلد ودخلها» . وهذا أقرب إلى تصور إمكانية تسلل الأمير بالخدعة هذه ، فلو كان خورشيد ، كما قال ابن بشر ، هو الذي أحس بالقتال أو سمعه لما فرط بأمر مثل يحيى بين يديه ، وعلى الأقل كان احتفظ به حتى يتأكد له ما الأمر .

والسبب الذي أورده ابن بشر وابن بسام للحرب ، هو بلا شك السبب المباشر لقيامها ، وبالتأكيد هو القشة التي قصمت ظهر البعير ، والشرارة التي أضرمت النار . ولكنه ليس السبب كله . فبالإضافة إلى ما ذكر من سبب يعتقد حتى الآن أنه السبب المباشر ، فهناك بعض الدلائل والمؤشرات التي توحي بأن هذه الحرب مع كونها حدثت دون قصد كما تروي بعض المصادر ، أي عن طريق الخطأ غير المقصود والتسرع ، إلا أنها كانت نتيجة حتمية لتاريخ من العداء والصراع الطويل بين عنيزة وأميرها (يحيى السليم) من ناحية ، وحمالات محمد علي من ناحية أخرى ، ويستنتج هذا مما ألمح إليه خورشيد وأيديته المصادر النجدية . يقول خورشيد : «وإنما نزلنا بعد مغادرة الشبيبة المارة الذكر ، في الغدير ، ولم نزل في عنيزة لأننا بوصولنا إلى البكيرية ، والروضة ، والشبيبة ، جاءنا عبد العزيز^(٤٠) .. كما انضم إلينا جميع أمراء القرى وكبرائها طالبين الأمان ، إلا يحيى شيخ عنيزة وبعض الأهلين ، فإنهم خافوا تبعه ما اقترفوه قبل من مخالفة ، فلم يجسر على القدوم إلي ، وإنما أوفد أخاه ، فلم تقبل وفادته ، بل رد ، وقيل له : إن أتى يحيى نفسه فيها وإن لم يأت ، فسيلقى جزاء عصيانه ، فهذا هو السبب ، في تجاوزنا عن النزول ، في عنيزة حتى يتضح لنا كنه الأمور ، فنفعل مايقضي به حسن التدبير ، غير أن الأمير المذكور يحيى ووجوه البلدة تداركوا ماسيحيق بهم آخر الأمر من ويل وشر ، فركنوا وجاءوا جميعاً يعلدون خادمتكم بالدخول في حظيرة الطاعة والانقياد ، وبايفاء كل ماعسى أن يكلفوه من خدمة للحكومة ، وبذلك استجيب لهم ، فيما طلبوه من العفو والأمان»^(٤١) .

(٤٠) هو عبد العزيز آل محمد آل عبد الله أبو عليان ، أمير مدينة بريدة تولى إمارتها في عام ١٢٤٣ هـ . بعد أن عزل الإمام تركي بن عبد الله أميرها السابق محمد آل علي بن عرفج وجعل الأمير عبد العزيز مكانه . وقد استمرت إمارته ، عدا بعض الفترات البسيطة التي عزل فيها عن الإمارة ، حتى عام ١٢٧٧ هـ . وكان على وئام واتفاق تام مع أمير عنيزة يحيى السليم . ابراهيم بن صالح بن عيسى ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، عثمان بن عبد الله بشر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٤ ، ١٨٨ - ١٩١ ، محمد بن ناصر العبودي ، مرجع سابق ، ص ٥٢٩ - ٥٤٧ .

(٤١) تقرير خورشيد .

ويستنتج من هذا النص عدة أمور من أهمها :
أولاً : يحتوي على شيء من التهديد والوعيد لأهل البلدة وأميرهم وأن خورشيد قد يكون وضع في الحسبان محاربة عنيزة لو اقتضى الأمر . وحسب روايته لم يقل عزمه هذا سوى ركونهم للسلم والذي في مقابله منحهم العفو والأمان .

ولكن بالرغم من هذا ، فالنص يشير إلى محاولة خورشيد الجادة ، في التريث ومحاولة تجنب أي حرب مع هذه البلدة ، «حتى يتضح لنا كنه الأمور ، فنفعل مايقضي به حسن التدبير» .

ثانياً : كان يوجد عدااء شديد بين الطرفين . وهذا أمر طبيعي لايتوقع غيره ، إذ أن عنيزة وأميرها سبق أن قاموا بأعمال حربية ضد جيوش محمد علي السابقة لحملة خورشيد ، مثلهم في ذلك مثل أي بلد نجد آخر . ولكن يبدو أن هذا العدااء كان عدااء متميزاً ، وليس أدل على هذا من :

(أ) أن أمير عنيزة يحيى وبعض كبارها «إلا يحيى شيخ عنيزة وبعض الأهلين» هم الوحيدون من بين رؤساء القصيم الآخرين الذين لم يخرجوا لخورشيد ولم يقدموا للسلام عليه في أول الأمر ، بل اكتفى الأمير بإيفاد أخيه نيابة عنه ، طبقاً لرواية خورشيد هذه . وخورشيد هنا يعلل سبب عدم قدوم أمير عنيزة ، وبعض كبارها بالخوف ، ولو كان هذا هو السبب فعلاً ، وأن الأمير كان خائفاً من مقابلة خورشيد ، فإن هذا الخوف ينطبق أيضاً على أخي الأمير الموفد . وليس من المعقول أبداً ، أن يعرض الأمير يحيى أخاه لمثل هذا الخطر ، الذي قد يهدده أو يقع عليه . وعلى كل ، فتعليل خورشيد هذا ضعيف ، وقد يكون مرفوضاً ، لأنه وصف به أهل جنوب نجد ، عندما لم يقدموا عليه ولم يكثرثوا به ، حين قدم إلى العارض^(٤٢) . وقد كانوا أقوياء ، منتصرين تماماً على جيش إسماعيل وخالد . ولربما كان الأمير يحيى هو الآخر غير مكترث كثيراً بمقدم ذلك القائد . وقد يكون مرده ثقة بالنفس واعتداداً بقوة المدينة .

(ب) أن خورشيد لم يكن أبداً مطمئناً لهذه البلدة بالذات ، وعدم قدوم الأمير عليه بلا شك زاد من مخاوفه وشكوكه ، مما دفعه إلى تجاوزها وتجنبها .

(ج) يشير خورشيد إلى أمور مخالفة اقترفها أهل عنيزة وأميرهم من قبل «فإنهم خافوا تبعة مااقترفوه قبل ، من مخالفة» . ولهجة خورشيد توحى بأنها أمور حربية ، وهو لا يذكر شيئاً عنها . ويحسن هنا محاولة الإلمام بهذه الأمور . فعند استقراء المصادر ومادونته من أحداث سابقة لهذه الحرب ، سواء القرية منها أو البعيدة بعض الشيء عنها ، والتي تتعلق بعنيزة ، في فترة أميرها يحيى السليم أو ما قبله بقليل ، ومقاومتها لجيوش محمد علي ، والدور الذي لعبته في هذا الصدد ، نجد هذه المصادر تسطر بعض الأحداث التي توضح جانباً من هذا الصراع . والذي يمثل الجذور العميقة لهذه الحرب ، التي لاتكمل صورتها بدون الإلمام بها ومعرفتها .

(٤٢) الوثيقة التركية رقم ١٦٣ ، حمراء ، محفظة ٢٦٧ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٩ جمادي الأول ١٢٥٥هـ .

(رسالة من خورشيد وتقرير عن أحوال نجد - البند الخامس) .

فالمؤرخ عثمان بن بشر ، يروي ، ضمن أحداث عام ١٢٣٨ هـ . مايلي : «وفي هذه السنة لما رجع حسن بيك أبو ظاهر من الجبل ببلاد شمر بعدما غدر بهم ، وأخذ منهم أموالاً وقتل رجالاً ، نزل بلدة عنيزة ، وأنزل عساكره في بيوت في البلد ، فلما استقروا فيها طلب عليهم عدداً من الأموال ، وحبس أمير البلد عبد الله الجمعي (ورجال) من أكابرها فسلموا له بعض المطلوب . ثم إن أهل عنيزة لما عرفوا غدره ، وأن ظلمه في زيادة ، عزموا على حربه وإخراجه وعسكره من بلدهم ، وأجمعوا على ذلك ، وثاروا عليه بعزيمة قوية ، وحملوا عليه في البيوت ، وطلب الأمان فأعطوه ، وأخرجوهم منها صاغرين ، ونزل هو وعسكره خارج البلد ، وأقبل العسكر الذي في بلد ثرمدا فنزلوا عليهم في عنيزة ورحلوا منها إلى المدينة ، وأبقى (أبو) ظاهر محمد آغا ومعه نحو ستمائة من الترك في قصر الصفا في عنيزة ، بعد مارحل أبو ظاهر وعساكره من القصيم بمدة قام أهل عنيزة على العسكر الذي في قصر الصفا وحاولوهم على الخروج منه بلا حرب وأنهم يلحقون بأصحابهم فأبوا إلا الحرب فثار عليهم أهل البلد وحربوهم ووقع بينهم قتال ومطالعات ورموا أهل البلد بالقبس والطوب ، وقتل من الترك نحواً من سبعين رجلاً ثم وقع الصلح فأخرجوهم من القصر بالأمان» (٤٣) .

ولتتبع سيرة حسن بك أبو ظاهر هذا وجيشه ، نجد أنه وسابقه ، حسين بك كانا من أعتى قواد حملات محمد علي وأشدّهم ظلماً وغدراً . وليست المصادر النجدية فقط هي التي كتبت عن ظلمهما وجورهما بل أيدتها في ذلك الوثائق التركية ، والتي تقول في وصف ما اقترفته حملتا حسين بك وحسن بك وما ارتكبتاه من جرائم «وإذا بالمرحوم حسين بك ، وحسن بك ، جاءا وجعلنا نجداً خراباً يباباً ، وكان يعطي الأمان لبعضهم ، فإذا جاءوا عنده قتلهم ، فلهذا كان من وراء ذلك ، خسائر كثير ، ولم يكتف بما فعله ، بالرجال ، بل تجاوز في عدوانه حتى وصل إلى النساء» (٤٤) . وإن طرد حسن بك بهذه الطريقة الحازمة القوية ، وقتل نحو سبعين من رجاله ، ليؤكد بسالة هذه البلدة ورجالها ، وعلى رأسهم أميرهم يحيى السليم ، والذي يبدو أن له دوراً أساسياً وفعالاً في هذا ، إذ أنه تولى إمارة عنيزة في ذلك العام ، بعد طرد حسن بك مباشرة . كما أن هذا الحدث يبرهن على مدى صلابتهم وقوة صمودهم أمام تلك الحملات والجيوش الغازية . لا سيما إذا تذكر المرء أن هذه الحادثة حصلت في أحلك فترات نجد السياسية ، بعد سقوط الدرعية وانتهاء حكم الدولة السعودية الأولى ، وانفراط عقد الأمن وتفشي الفوضى والنزاعات ، وانكشاف المدن والقرى أمام الغزاة ، واعتمادها فقط على قوتها الذاتية ، مع ماصاحب هذا من هزيمة وقهر ، وشعور بالمرارة القصوى ، نتيجة لهذه الأحداث الدامية . فإن القيام بمثل هذا العمل له مكانته الحربية والمعنوية ،

(٤٣) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، ٢٧ ؛ إبراهيم بن صالح بن عيسى ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

(٤٤) الوثيقة التركية رقم ١٦٣ ، حمراء ، محفظة ٢٦٧ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٩ جمادى الأولى عام ١٢٥٥ هـ .

(رسالة من خورشيد باشا إلى الباشاعوان الحديوي - البند السادس) .

ويعطي أيضاً الدلالة التاريخية ، فعنيزة ، في هذه السنة (١٢٣٨هـ) - ونجد تعيش ظروفًا قاسية إثر هزيمة عامة - استطاعت أن تدحر حسن بك هذا القائد الذي شهد حتى أهله بفتكه وشرسته ، فهل تكون عنيزة في عام ١٢٥٤هـ ، عاجزة ومقدرتها الحربية متدنية ، إلى درجة أن تكون لقمة سائغة لخورشيد باشا لتستسلم له بعد حرب وحصار دام يومين وليلة فقط ؟ لاسيما وأن الظروف السياسية والاقتصادية قد تحسنت ، ووطأة الهزيمة على المنطقة ، قد خفّت .

ويبدو أن يحيى أراد أن ينهي إنهاء تاماً ، جميع ما يذكر بهؤلاء - الغزاة . إذ قام على أمير البلدة من قبلهم ، عبد الله الجمعي وقتله في مجلس عنيزة ، في وسط البلدة ، وتولى الإمارة مكانه . وكان هذا في شعبان عام ١٢٣٨هـ . وكان عبد الله هذا قد عينه إبراهيم باشا أميراً على عنيزة . وبعد رحيل إبراهيم باشا من نجد ، قام أهل عنيزة بإخراجه ، وطرده منها . وولوا مكانه محمد بن حسن الجمل ، أميراً عليهم ، ثم أعاده حسين بك إلى تولي إمارة البلدة ، مرة أخرى ، بعد قضائه على أميرها محمد بن حسن . وعندما دُحر حسن بك أبو ظاهر ، كما تقدم ، وطرده من عنيزة هو وجنوده ، قام يحيى بعمله هذا^(٤٥) . والذي يعتبر بلا شك تحدياً صارخاً لهؤلاء ومن قد يمثلهم . كما يعتبر عمله هذا - والحملات لم تنقطع تترى على نجد جيئة وذهاباً - عملاً ينم عن جرأة وجسارة . وربما دخل هذا التصرف في إطار الأمور المخالفة التي قد يكون عنها خورشيد .

ومن الأمور التي ربما عنها خورشيد أيضاً وقصدها في تقريره ، بالأمر المخالفة . أنه في أثناء استعداد الإمام فيصل بالقصيم ، للتصدي لجيش محمد علي ، المرسل إلى نجد ، بقيادة إسماعيل بك وخالد بن سعود ، لعبت عنيزة وأميرها يحيى السليم دوراً بارزاً وقيادياً . حيث غدت قاعدة ومركزاً لقوات الإمام والتي كان يعدّها ويجهزها لصدها هذا الجيش^(٤٦) وهذا يوحى بقوتها الحربية والقيادية في هذا المجال ، ويدعم هذا تصديها لهذا الجيش ، بعد رحيل الإمام فيصل عنها ، إذ يقول ابن بشر ضمن أحداث عام ١٢٥٣هـ : «رجعنا إلى قصة إسماعيل وخالد وعساكرهم .. رحلوا من الرس ونزلوا الخبرا ثم رحلوا منها وقصدوا بلد عنيزة فأغلق أهلها عنه الأبواب وحاربوه ، ثم وقع بينهم الصلح»^(٤٧) وهذا النص يدل على أن عنيزة استبسلت في صد هذا الجيش وحربه حتى تم الصلح بينهم ، وهو ما فهمه الباحثون في التاريخ الحديث إذ يقول صلاح الدين المختار : «ماكاد الإمام فيصل يتحرك من عنيزة حتى أوعز إسماعيل آغا وخالد بن سعود إلى الجنود المصريين بالسفر إليها ، وما أن وصلوها حتى أغلق سكانها الأبواب في وجوههم ونازلوا القوات المصرية بقسوة وعنف ، ثم عقدوا الصلح مع قادتها»^(٤٨) .

(٤٥) نفس هامش (١٥) .

(٤٦) عثمان بن عبد الله بن بشر . مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٤٧) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٤٨) عبد الله الصالح العنيمية ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ .

وقد يكون خورشيد ، عند إشارته إلى الأمور المخالفة التي ارتكبها أهل عنيزة وأميرهم ، قد عني واحداً أو اثنين من هذه الحوادث ، أو قد عناها كلها ، فكلها أمور بالنسبة لخورشيد وحملته مخالفة .

والآن لنعد إلى دراسة نتيجة الحرب . فخورشيد ، كما مرّ ، يخلص في تقريره إلى القول ، بأن أهل البلدة «لم يجدوا إلى الفرار سبيلاً ، ولا من التسليم مَجِيصاً»^(٤٩) وطبقاً لهذا فتلاثة أيام أو يومان وليلة من الحصار كان نتيجتها الاستسلام . ولكن ماذا يقول المؤرخون النجديون عن هذه النقطة ؟ . ابن بشر ، بعد وصفه لوقعة السوق ، والهزيمة الساحقة التي تلقاها جند خورشيد ، وتعداده لقتلاهم التسعين ، وقتلى عنيزة الخمسين ، والذين قتلوا خارج البلدة ، انتقاماً لوقعة السوق ، يخلص إلى القول : «ثم ثار الحرب بين أهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام ، ثم وقع الصلح بينهم»^(٥٠) فهو لم يقل بأن البلدة هزمت أو استسلمت ، ولكن عبارة «ثم وقع الصلح بينهم» مجملة ، ومختصرة جداً ، ولسير غور هذه العبارة ، ومحاولة فهم ماعناه ابن بشر ، يحسن مقارنتها بما أورده المؤرخ إبراهيم بن عيسى ، عن الصلح الذي تم بين إبراهيم باشا وبين بلدة الرس ، بعد حصار دام أكثر من ثلاثة أشهر ونصف ، تكبد خلالها إبراهيم باشا خسائر فادحة ، واضطر إلى توقيع صلح متكافئ مع الرس^(٥١) ، إذ يقول ابن عيسى «ثم إنه وقع الصلح بينه وبينهم»^(٥٢) نفس عبارة ابن بشر التي وصف بها صلح عنيزة مع خورشيد باشا . والمدقق في كتابات المؤرخين النجديين ، يلاحظ أنهم غالباً ما يستخدمون أساليب وعبارات ، متجانسة ومتشابهة مع بعضهم البعض ، لوصف أحداث متماثلة .

أما المؤرخ محمد بن عمر الفاخري ، فروايته عن نتيجة هذه الحرب ، أقوى وأوضح «وفيها سار خرشد باشا من المدينة فوصل إلى عنيزة .. فبعد نزوله بأيام حصل منافرة وجرت بينهم وقعة من غير قصد قتل فيها مقتلة من العسكر نحو تسعين ، ومن عنيزة نحو (خمسون) ثم تراجعوا على الكف وتركوا ماسبق وتبايعوا»^(٥٣) وهذه الرواية وعباراتها ، لا تحتاج إلى تفسير ، أو تعليق ، فهي دليل واضح ، على أن ذلك الصلح ، قد أبرم بين طرفين متكافئين في الموقف ، على أرض المعركة ، لا بين منتصر ومنهزم . بل وأكثر من هذا ، فرواية ابن بشر ، مع رواية الفاخري هذه ، وروايات المؤرخين الآخرين ، الذين كتبوا وأرخوا لهذه الحرب ، تشير إلى شيء واحد ، هو رجحان كفة عنيزة ، حيث

(٤٩) تقرير خورشيد .

(٥٠) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

(٥١) الوثيقة التركية رقم ١٢ ، مخفظة ٥ ، بحري ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٣ محرم ١٢٣٣ هـ . (حصار مدينة الرس) ، ج ٢ لوريمر ، دليل الخليج (القسم التاريخي) ، ج ٣ ، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر (الدوحة : د . ت) ، ص ١٦٢٠ ؛ عبد الرحمن الراعي ، عصر محمد علي ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م) ، ص ص ١٥٥ - ١٥٧ .

(٥٢) إبراهيم بن صالح بن عيسى ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٥٣) محمد بن عمر الفاخري ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

لاتشير إلى أي انتصار لجيش خورشيد ، ففحوى روايتهم انتصار البلدة . والحالة هذه ، فقد يكون من الحصافة بمكان ، القول بأنه لم يكن هناك استسلام ، كما يروي خورشيد في تقريره ، وإنما هو صلح متكافئ ليس به أي غضاضة على عنيزة ، ولم يتنازلوا عن شيء ، ولم يسلموا بشيء . والذي يدعم هذا ويرجح ، بعض الحقائق التي استرعت ولفتت الانتباه ، سواء تلك التي وردت ضمن تقرير خورشيد ، أو التي أشار إليها بعض المؤرخين النجديين المعاصرين وغيرهم ، والتي يجدر التوقف عندها ودراستها .

وفيما يتعلق برواية خورشيد ، فهناك دلائل ومؤشرات وردت في ثنايا تقريره ، إلى جانب معلومات تصل أحيانا ، إلى درجة التناقض . فالأسلوب الذي اتبعه في ذكره لخسائره ، وعباراته في تعدادده لقتلى جيشه وجراحه ، توجي بالبحث عن حقيقة ضائعة بين السطور ، وتدعو إلى التوقف والشك في أن العدد الحقيقي ، قد يفوق ما ذكره أضعافاً ، إذ أن هذه العبارات تحمل جانب التطمين لسيده ومرجعه . ولتستعذ ماقاله عن خسائر الطرفين «وهكذا أسفرت عن الحصار الذي استقرت نار الحرب فيه يومين وليلة ، عن مائتي هامة ، قتل أصحابها عند خروجهم ، وعن فتل المدافع بما ينوف على مائتي قتيل أو جريح ، من بين القابعين في الداخل» وعن خسائر جيشه قال «وبلغ عدد الذين توفوا في هذه المعركة من جنودنا ، اثني عشر رجلاً ، بين جهادي ، وفارس ، وراجل ، فإذا أضفنا إلى هذا العدد ثمانية عشر مجروحاً كانت جملة المصابين منا ثلاثين على أن جراح رجالنا لاتنذر بسوء ، وعما قريب تلتئم ويرأ أصحابها» وعن وقعة السوق قال : «هلك من الفريقين بضعة رجال» . فبضعة رجال ، واثني عشر قتيلاً ، وثمانية عشر جريحاً ، لاتتواءم ولاتتناسب ، مع نحو أربعمائة من الطرف الآخر ، مع الأخذ في الاعتبار وقعة السوق وظروفها ، وما ذكره المؤرخون النجديون خلافاً لهذا ، على أن الرقم الأخير ، على المبالغة الكبيرة فيه ، يشمل أعداداً من المدنيين ، كما مرّ ، تفوق أعداد المحاربين . وقتل المدنيين ، على فداحته وتأثيره ، إلا أنه لا يفتر في عضد الجيش المحارب أو يضعفه .

رفع خورشيد ، السريع والمباشر ، للحصار وقبوله الصلح حال استلام كتاب عنيزة «فلما جاء كتابهم بطلب الأمان ، رفع عنهم الحصار ، بشرط أن يعاهدونا ، على امتثال كل أمر ، وأداء كل خدمة»^(٥٤) وإذا سلمنا بورود مثل هذا الكتاب إليه ، وهو أمر لم تؤيده المصادر الأخرى ، ولم تشير إليه ، فإن موافقته السريعة عليه ، توجي بأنه كان في موقف التلهف لمثل هذا الكتاب . وهذا ما يستنتج من عباراته هذه ، وسياقها فقد رفع الحصار وقبل الصلح ، وليس بعيداً أن يكون قبل شروطاً تضمنها ذلك الكتاب . وفي المقابل ، لم يشترط ، سوى «امتثال كل أمر وأداء كل خدمة» وهذا أمر يدعو إلى الدهشة . فهذا هو الأمان الثاني ، الذي يعطيه خورشيد للبلدة . إذ سبق وأن

منحهم أماناً في أول مقدمة ، حين لم يقدم الأمير ووجهاء البلدة إليه «غير أن الأمير المذكور يحيى ووجوه البلدة ، تداركو ماسيحيق بهم آخر الأمر ، من ويل وشر ، فركنوا وجاءوا جميعاً يعدون خادمكم بالدخول في حظيرة الطاعة والانقياد ، وبإيفاء كل ماعسى أن يكلفوه ، من خدمة للحكومة ، وبذلك استجيب لهم ، فيما طلبوا من العفو والأمان»^(٥٥) وعبارات هذا الأمان ، تبدو أشد لهجة وأقوى من الثاني ، الذي أعطي اثناء الحصار ، كما أن خورشيد تهدد وتوعد لمجرد أن أمير البلدة ، أوفد أخاه نيابة عنه في أول الأمر ولم يقدم عليه بنفسه ، وهذا بالطبع سابق على حرب البلدة له ولجيشه والذي يدل على أنه ليس بالقائد المتساهل . فبالإضافة إلى قوله السابق «تداركو ماسيحيق بهم آخر الأمر ، من ويل وشر» قال : «... وإنما أوفد أخاه ، فلم تقبل وفادته ، بل رد ، وقيل له إن أتى يحيى نفسه ، فيها ، وإن لم يأت ، فسيلقى جزاء عصيانه»^(٥٦) ، ولذا يتوقع أن خورشيد ، لو كان فعلاً في مركز القوة والتمكن ، لما أعطاهم الأمان الثاني ، وقد نقضوا الأول ، وفككوا بجنده ، إلا بشروط قوية ومحددة وواضحة ، قد تحمل في طياتها عقاباً صارماً ، لا مجرد «امتثال كل أمر وأداء كل خدمة» . فالمطلعون على تاريخ الجزيرة العربية الحديث يعرفون أن مثل هذا الشرط ، كان أمراً عادياً ، اعتاد أن يأخذه ويطلبه قادة حملات محمد علي في الجزيرة العربية من المدن والقرى ومواطن القبائل التي يصلون إليها أو يمرون بها . وهو في معظم الحالات ، لا يعني سوى طاعة اسمية ، تمثيلاً مع خضوع منطقة نجد الاسمي لتلك السلطة ، في بعض فترات ذلك الزمن^(٥٧) .

وفيما عدا هذا فلا المصادر النجدية ، ولا غيرها ، أشارت إلى أي شروط حاول خورشيد أن يفرضها على عنيزة ، كذلك لم تشر ، إلى أي لقاء بين يحيى السليم أمير البلدة وخورشيد باشا سواء بعد رفع الحصار أو أثناءه .

وأجمعت المصادر النجدية على أن خورشيد ، بعد انتهاء الحرب ، ظل معسكراً خارج عنيزة مدة خمسة أشهر^(٥٨) ، وتأيد ذلك بما أورده بعض الوثائق التركية من تأريخ للأحداث والوقائع التي

(٥٥) المرجع السابق .

(٥٦) المرجع السابق .

(٥٧) الوثيقة التركية رقم ١٦٣ ، حمراء ، محفظة ٢٦٧ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٩ جمادي الأولى ١٢٥٥ هـ .

(رسالة من خورشيد ، وتقرير عن أحوال نجد) .

(٥٨) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٤ ؛ إبراهيم بن صالح بن عيسى ، مرجع سابق ، ص ص ١٦٣ -

١٦٤ ، عبد الله بن محمد بن بسام ، مرجع سابق ، ورقة ١٣٤ ويقول الدكتور عبد الفتاح أبو عليّة : «قرر محمد علي تعزيز قواته

المحصنة في نجد فأرسل خورشيد باشا بقوات كثيفة عسكرت في بلدة الرس في القصيم» . ويبدو أن الأمر تشابه عليه ، إذ أن

الحملة التي فعلا عسكرت في الرس ، هي حملة إسماعيل بك وخالد بن سعود ، والذي أرسل خورشيد نجدة لهم ، عبد الفتاح أبو

عليّة . الدولة السعودية الثانية (١٢٥٦/١٣٠٩ هـ - ١٨٤٠/١٨٩١ م) ، ج ٢ (الرياض : دار الملك عبد العزيز ط ٤ ،

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) ص ٤٧ ، عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٤٢ ؛ عبد الله بن محمد البسام ،

مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

تلت ذلك (٥٩). والمتتبع لسير حملة خورشيد ، منذ مغادرتها للحناكية ، وحتى وصولها إلى عنيزة ، يلاحظ أنها لم تقم في أي من الأماكن التي مرت بها ، إلا استراحة السفر الضرورية كيوم أو ليلة ، والذي أيضا قاله خورشيد (٦٠) . وأنها كانت حثيثة السير مستعجلة ، حتى إنه عند وصول هذه الحملة إلى مشارف القصيم جعلها خورشيد تسير متحدة مع بعضها ، وكان سبق أن قسمها إلى قسمين ، يسير أحدهما قبل الآخر ، تجنباً للتزاحم على موارد المياه في الطريق ، والذي لم يعد له حاجة لتوفر هذه المياه في القصيم (٦١) .

فلماذا هذه الإقامة الطويلة - وبالذات بعد الحرب ؟

قد تكون من قبيل الصدفة ، وهذا أمر وارد ، وقد يكون خورشيد خطط مسبقاً لمثل هذه الإقامة ، وهذا غير وارد كما سيبين ، وقد تكون نتيجة لهذه الحرب وهو ما أشارت إليه الظروف والقرائن .

فخورشيد ، لم يخطط لإقامة طويلة خارج عنيزة ، فتقريره لايوحي بهذا ، بل أراد تجنب هذه البلدة وتجاوزها . كما أن مهمته لاحتتمل ذلك . فمن يضمن الأهداف الأساسية لحملة خورشيد ، نجدة جيش إسماعيل بك ، وخالد بن سعود ، والذي تكبد هزيمة فادحة على أيدي قوات جنوب نجد ، مما جعله في حالة يُرثى لها .« (٦٢) . حيث أصبح إما محاصراً في الرياض من قبل الإمام فيصل ، أو فلولاً هائمة على وجهها في الصحراء . وكان هذا الجيش في أمس الحاجة إلى منقذ ومنجد ، وما كان هذا المنجد سوى خورشيد وجيشه . يقول الدكتور عبد الله الصالح العثيمين : «وفي أثناء ذلك جرت اتصالات بين فيصل بن تركي وبين والي العراق العثماني . ومن الواضح أن كلا منهما حاول أن يستفيد من الآخر في الوقوف أمام العدو المشترك لهما حينذاك ؛ محمد علي . وحينما أدرك هذا الأخير ضعف موقف خالد بن سعود ومن معه وما قد تؤدي إليه الاتصالات المذكورة سابقاً من نتائج بعث حملة جديدة إلى نجد بقيادة واحد من أمهر قادته العسكريين ، وهو خورشيد باشا . وكان مما قام به ذلك القائد فور وصوله إلى جزيرة العرب أن أرسل إلى فيصل بن تركي هدية مع عبد

(٥٩) الوثيقة التركية رقم ٢٢٠ ، محفظة ٢١٤ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٥ جمادي الأولى ١٢٥٤هـ . (بشأن فرار جلوي بن تركي) ، الوثيقة التركية رقم ٦ ، محفظة ٢٦٦ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في رمضان ١٢٥٤هـ . (تقرير من خورشيد باشا ، عن الوضع في نجد ، كما تحوي بعض الخطابات الأخرى) .

(٦٠) تقرير خورشيد .

(٦١) المرجع السابق . كما أن هناك وثيقة تركية تثبت بأن خورشيد فعلاً كان مستعجلاً وأن - مهمته لاحتتمل التأخير إلى درجة أنه أراد إرسال بعض الخيالة والفرسان إلى الرياض كنجدة لها - كما أرسل خطاب تهديد إلى فيصل بن تركي . وهو بهذا يسعى إلى كسب الوقت قبل فوات الأوان . الوثيقة التركية رقم ٢١٨ ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٥ ذي القعدة ١٢٥٣هـ . (حول إرسال كتاب تهديد إلى فيصل - وإرسال خيالة إلى الرياض - وأمور أخرى) .

(٦٢) انظر هامش رقم (٢) .

الله الشريف ، صاحب بلدة ينبع ، آذناً له أن يأخذ ما أراد أخذه من ممتلكاته الموجودة في الرياض ، وواعداً إياه «التقرير في ملكه ، ولا عليه منازع» كما يقول ابن بشر . ولعل ماحدث وعده بأن يظل حاكماً على أجزاء مما كان تحت يده ، مثل الجهات الجنوبية من نجد والأحساء ، وهما الجهتان اللتان كانتا لاتزالان موالييتين له . ومن الواضح أن هدف خورشيد من ذلك العرض كسب الوقت لكي يصل إلى العارض قبل أن ينال فيصل من خالد ماينال»^(٦٣) ومن هذا يتضح جلياً أن عامل الوقت مهم لدى خورشيد وأن مهمته لاحتتمل التباطؤ أو التأخير في المسير ، فكيف يضع خمسة أشهر من هذا الوقت الثمين إلا أن يكون الأمر خارجاً عن إرادته ومرغماً عليه .

وإذا أخذ بعين الاعتبار أن هذه الحملة لم تتحرك من الحناكية إلا بعد اكتمالها من جميع النواحي ، وأن المؤرخين والباحثين أجمعوا على قوة جيش خورشيد وكثافته ، وأنه في طريق إلى القصيم كان جيشاً قوياً مهاباً ، يفهم هذا من تعبيرات خورشيد نفسه حيث يقول : «وفي فجر اليوم السادس عشر من الشهر غادرنا المحل المذكور جماعة واحدة انتظمت الجهادية ، والفرسان ، والمدافع ، والمهمات ، والزاد ، والذخيرة بقضهم وقضيضهم»^(٦٤) . ومن هذا يتضح أن هذا الجيش كان على جانب كبير من القوة والاستعداد ، بحيث لم يعد بحاجة إلى أن ينتظر لتلقي مددٍ أو قوات أخرى مساعدة أو ماشابه ذلك . ولكن الأمر الذي يدعو إلى الدهشة أن خورشيد يضمن تقريره ، الذي أرسله بعد الحرب مباشرة ، والتي حدثت كما مر ، بعد وصوله لعنيزة ببضعة أيام فقط ، يضمن هذا التقرير حاجته إلى الجنود والذخيرة . إذ يقول «فإذا جاءت هذه الجمال ، فسنرسلها مع الجمال المزمع ورودها ، من المحلات الأخرى ، إلى المدينة المنورة ليأتوا منها بجنود وليلجلبوا منها ذخيرة ، إن كان فيها ذخيرة»^(٦٥) ويقول في مكان آخر من الوثيقة ، سيشار إليه فيما بعد ، أنه سيكون في ضيق مابعده ضيق إذا لم يلب طلبه . وهذا يتناقض مع وصفه لهذا الجيش عند قدومه للقصيم قبل أيام فقط من إرسال تقريره . مما قد يشير إلى أن هناك أمراً ما ، لم يكن متوقعاً ، قد حدث .

والذي يبدو أن هذه الحرب قد أثرت في هذا الجيش وفتت في عضده مما أجبر خورشيد على أن يمكث هذه المدة لترميم ماالحق به من خلل وإصلاح مافسد . لاسيما إذا تذكرنا مدى شدة وقعة السوق على جند خورشيد ، وما أحدثته من أثر مادي ومعنوي خيم على هذا الجيش طوال فترة الحصار .

ويمضي خورشيد في تقريره ، فيقول : «أما نحن فقد رأينا أن هذه البلدة ، مركز للتجارة ، يختلف إليه التجار ، من بغداد ، والشام ، ابتغاء الأخذ والعطاء ، كما يقصده الأعراب ببضائعهم ، من كل نوع ، وأننا لو دمرناها ، لما نلنا من تدميرها فائدة ، فضلاً عما يحيق بمصالح التجار ،

(٦٣) عبد الله الصافي العنيمية ، تاريخ ... ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠

(٦٤) تقرير خورشيد .

(٦٥) المرجع السابق .

والأعراب الواردين عليها ، .. وعما نكابه في طلب الميرة ، والذخيرة وسائر العتاد ، مما يستحيل ، وجدانه إذا أصابها الخراب» (٦٦) . وعند تحليل هذه المبررات والأسباب التي أوردتها خورشيد كعائق حال دون تدمير عنيزة ، يترأى أنها ضعيفة ، وغير منطقية ، ولذا فقد تكون غير مقبولة .

فالسبب الأول : «أنها مركز للتجارة ، وهذا بالتأكيد صحيح ، أما أنه لم يرد القضاء على مثل هذا المركز ، فهذا غير صحيح ، فمتى كان يعني أو يكثرث قواد حملات محمد علي بمراكز التجارة ، أو الحضارة ، في الجزيرة العربية عموماً ، ناهيك عن قلبها ، والذي اتخذوا منه موقفاً عدائياً واضحاً .. وهل يصدق أن مصلحة مثل هذه المراكز تهمهم ، أو يعينهم في شيء أمر المترددين عليها ، من تجار وأعراب وغيرهم ؟ ويبدو أن خورشيد ، كان على علم بهذه الحقيقة ، وخشي ألا يصدقه مرجعه ، فأورد السبب الآخر ، والذي بدا له أن قد يكون أكثر إقناعاً لذلك المرجع «وعما نكابه في طلب الميرة ، والذخيرة ، وسائر العتاد مما يستحيل ، وجدانه إذا أصابها الخراب» ولكن خورشيد ، من حيث يعلم أو لا يعلم ، نقض هذا السبب في آخر تقريره بقوله : «هذا ومع أننا الآن .. في حاجة ماسة إلى ورود الميرة .. على حين أن أشد ماتحتاج إليه العساكر ، في هذه الديار ، هي الذخيرة ، التي لاشك في أنها ، إذا لم تتوافر في المدينة ، وينبع .. تعذر علينا استيرادها ، ووقعنا في ضيق ، مابعده ضيق ، .. فالمرجو من همة دولتكم ، ياسيدي أن ترفعوا هذه الأمور وتبلغوها إلى عتبات ولي النعم» (٦٧) .

والتناقض بين هذين النصين ، فيما يحويانه من معلومات ، واضح فخورشيد يقول في النص الأول : إن عنيزة إذا أصابها الخراب فسيستحيل عليه الحصول على الميرة أو الذخيرة . ويقول في النص الثاني : إنه في حاجة ماسة إلى الميرة والذخيرة وإنها ، إذا لم تتوفر في ينبع أو المدينة ، تعذر عليه استيرادها ، ووقع في ضيق ما بعده ضيق .

وكلمات مثل : فيستحيل - حاجة ماسة - تعذر عليه استيرادها - ضيق مابعده ضيق - هي كلمات قوية قاطعة نهائية تعني الاستحالة . ففي أي الاستحالتين تؤخذ رواية خورشيد ؟ في استحالة الحصول على ميرة و ذخيرة ، في حالة خراب عنيزة ، أم في تعذر الحصول عليها ، في حالة عدم توفرها في المدينة وينبع .

إن طبيعة الأحداث ، واستقراء تاريخ الحملات وتجهيزاتها ، تؤكد بأن ذخائرها وميرتها وعتادها وما إليه ، كله ، يرسل إليها من مصر ، عن طريق ينبع - المدينة ، غالباً (٦٨) إذن فخورشيد ، كان يعني ماقاله في النص الثاني تماماً . وكان في أمس الحاجة إلى ماطلبه ، ويريد من مرجعه أن يخبر محمد علي ، بأن العتاد وما إليه ، إذا لم يتوفر في المدينة وينبع ، فسيكون هو وجيشه في

(٦٦) المرجع السابق .

(٦٧) المرجع السابق .

(٦٨) عبد الفتاح ابو علي ، مرجع سابق ، ص ص ٤٠ - ٤١ .

ضائقة ماسة . وكانت تلك هي الحقيقة ، فعنيزة ليس لها علاقة بتلك الحملات ، من ناحية التموين أو الميرة والذخيرة ، إلا أشياء قد يتسوقها العسكر من أسواقها ليست من الأساسيات التي قد تعول عليها الحملة في شيء ، والتي قد يجدونها في أي بلدة أخرى مجاورة . ولعل خورشيد قال ماقاله في استحالة الحصول على الميرة والذخيرة ، في حالة تخريبه للبلدة ، عله يقنع مرجعه بهذا السبب ، والذي حاول أن يوراري خلفه عجزه عن فعل ذلك .

ولعل مما يضعف تبرير خورشيد في عدم هدمه للبلدة ، والذي ربما يكون عقد العزم عليه في حالة انتصاره ، أنه حتى لو فعل ذلك لما تأثرت حملته بشيء . إذا أخذ في الحسبان ، مدى ماتمتع به معظم مدن وقرى القصيم من نشاط تجاري متميز ، لاشتغال الكثير من سكانها بتجارة القوافل . حيث ستمكن هذه الحملة من الاعتماد على أي من هذه المدن في التزود بما يلزمها .

وحتى لو سلم بهذين التبريرين ، وهو أن عنيزة مركز تجاري ، لم يرد تدميره . واستحالة الحصول على الميرة والذخيرة في حالة خرابها لو سلم بهما على سبيل الفرض ، فهل انحصرت سبل عقاب الخصم المهزوم والتشفي منه بالهدم فقط ؟ إما هدم البلدة أو لا عقاب ! لاسيما إذا أخذ بعين الاعتبار مدى عمق الكارثة التي لحقت بجند خورشيد في وقعة السوق ، والعداء التاريخي المسبق والمتميز ، والذي أشار إليه خورشيد نفسه .

فلو أن الحقيقة كما صورها ، فعلاً بلدة مستسلمة أمام جيش منتصر ، مع جميع الظروف والملابسات هذه ، لكان المتوقع أن يقوم ذلك الجيش وقائده ، بعقاب لتلك البلدة ، إن أفلتت من الهدم ما نجا ولا سلم منه قادتها وزعمائها ، وعلى رأسهم الأمير ، وقد ظفر بهم ذلك القائد ، ولكن شيئاً من هذا لم يحصل ، وهذا على خلاف عادة حملات وجيوش محمد علي ، فعند حصارها لبلد من بلدان الجزيرة ، وعندما يسقط هذا البلد أو يستسلم ، فإن مصيره ، غالباً ، التدمير والتخريب ، ويلاقي أهله القتل والتشريد^(٦٩) . وخورشيد نفسه قد أمر بهدم أسوار وحصون جميع المدن والقرى التي انتصر عليها في الأحداث اللاحقة لهذه الحرب^(٧٠) . وبالتأكيد ماكان لعنيزة أن تنجو من هذا المصير ، لو أنها كانت فعلاً استسلمت لجيش خورشيد ، أو هزمت على يديه ، لاسيما وقد حاربتة بعنف وقسوة وفتكت بجنده ، ولكن يبدو أن الحقيقة غير ذلك .

وكان يتوقع ، على الأقل ، أن يأمر خورشيد بإكمال هدم الأسوار والبروج ، والتي كما قال : هدمتها مدافعه . والذي لا يمكن إلا أن يكون هدماً جزئياً وبسيطاً ، في ظرف يومين وليلة من الحصار فقط ، مهما ضعف بنيانها . والتي لم تكن كذلك ، بل كانت قوية شامخة .

(٦٩) سليمان بن محمد الغنام ، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ - ١٨٤٠) في الجزيرة العربية والسودان

واليونان وسوريا ، (جدة : جهامة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ١٠٦ .

(٧٠) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

وينقل الدكتور منير العجلاني ، تقريراً للقنصل الفرنسي في القاهرة والذي يحتوي على وصف لبعض الأحداث في القصيم إبان حملة إبراهيم باشا على نجد . إذ يقول : «ويقول القنصل الافرنسي في القاهرة في رسالتين أرسلهما إلى وزير الخارجية بباريس ..

وقد بُنيَ حصنها خلال سبعين سنة .. وهو ثخين جداً ، وكان الناس يظنون أن عنيزة مدينة منيعة لا يرام قهرها بسبب مناعة حصنها العظيم ، ولذلك قال صاحب الرس لإبراهيم باشا : سنسمح لحامية مصرية بالإقامة في بلدتنا متى تم لكم الاستيلاء على عنيزة» (٧١) .

وكان هذا القول ينطوي على شيء من السخرية والمكر .

ويتحدث عبد الرحمن الراجعي ، بعد فشل إبراهيم باشا الذريع في حصار الرس ، وبعد أن أرغمته المدينة على رفع الحصار (٧٢) ، قائلاً : «وإنه إذا استولى الجيش على مدينة (عنيزة) تسلم له «الرس» بدون قتال وإن لم يفلح يعود القتال ثانية» (٧٣) .

ويقول لوريمر . عن نفس الموضوع : «وحدث شبه اتفاق مع أهل الرس أصبح مصير هذه المدينة بموجبه مرتبطاً بمصير عنيزة عاصمة القصيم» (٧٤) .

وفهم من هذه الروايات ، ولاسيما الرواية الأولى ، مناعة أسوار وحصون عنيزة وقوة دفاعاتها . وأن الاستيلاء عليها من قبل إبراهيم باشا كان أشبه بالمستحيل . وعلى ذلك كان أمير الرس المنتصر ، واثقاً من هذا ، عندما قال لإبراهيم باشا متحدياً : سنسمح لحامية مصرية بالإقامة في بلدتنا متى تم لكم الاستيلاء على عنيزة . ومهما كانت نتائج تلك الأحداث فهذه الروايات المتعددة الأطراف تؤكد على حقيقة واحدة ، وهي قوة المدينة وأسوارها وبروجها .

والحالة هذه ، فمن الصعب أن يقبل من خورشيد ، بأن عنيزة استسلمت في حصار دام فقط يومين وليلة . وأنه تمكن في هذا الحصار القصير جداً ، من هدم أسوارها وبروجها «التي اعتزوا بها» كما قال . والأمة لاتعتر بضعيف فلولا قوتها لما اعتزوا بها . ورواية خورشيد هذه ، يصعب قبولها مع وجود ما يناقضها ، سواء من أقوال خورشيد نفسه ، أو من روايات المؤرخين النجديين وغيرهم . ويحسن هنا أن نلقي مزيداً من الضوء على قوة المدينة ، وكذلك قوة حملة خورشيد ، يقول خورشيد وهو يتجهز للسير إلى القصيم : «في حين أكملت معدات أورطتي الآلاي الخامس عشر المندوب لنجد ..» (٧٥) ويحدد الراجعي عدد الآلاي الخامس عشر هذا المندوب لنجد بـ ٢٥٥٥ جندياً (٧٦) ، فإذا أضيف إلى هذا العدد ، بعض الفرسان الآخرين الذين اصطحبهم خورشيد ، مع

(٧١) منير العجلاني ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

(٧٢) كما تقدم هذا الحصار دام أكثر من ثلاثة أشهر ونصف تكبد فيها إبراهيم باشا خسائر فادحة .

(٧٣) عبد الرحمن الراجعي ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

(٧٤) ج ج لوريمر ، مرجع سابق ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص ١٦٢٠ .

(٧٥) تقرير خورشيد .

(٧٦) عبد الرحمن الراجعي ، مرجع سابق ، ص ٤١٦ .

مالحق بهذا الجيش من العربان ، فيكون العدد الإجمالي ثلاثة آلاف أو يربو قليلاً . وهو مايتفق مع ماذكره لوريمر عن تعداد جيش خورشيد^(٧٧) ، وقد سلح هذا الجيش بأحدث الأسلحة العسكرية ، حسب مقاييس ذلك الزمن ، واختير له قائد يحمل أعلى رتبة عسكرية ، ميرمان^(٧٨) .

أما من ناحية عنيزة ومركزها الحربي إبان تلك الفترة ، فهي كما تروي المصادر التاريخية على جانب كبير من الأهمية والقوة الحربية والنفوذ . وهذا ماأدركه إبراهيم باشا ، ودفعه إلى القول : «وبما أن البندر المسمّى عنيزة جسيم في حد ذاته ، واتضح أن جميع أهالي القصيم لايتخالفون رأي وتدير هذا البندر ، وأن القرى الكائنة في وادي القصيم أيضاً تتبعه في سيره»^(٧٩) ويقول لوريمر : «هي المدينة الرئيسية في القصيم بل في الحقيقة في كل أنحاء نجد»^(٨٠) وينسجم مع هذا ، ما ذكره خورشيد عن ازدهار تجارتها وعلاقاتها التجارية بالأمصار المجاورة كالعراق والشام^(٨١) . ومما يؤكد على أهمية هذه البلدة ، كون الإمام فيصل اتخذها قاعدة ومركزاً لتجهيزاته العسكرية ضد خالد بن سعود وإسماعيل بك . وهذه الأهمية جعلتها مستهدفة من قبل هذه الحملات ، مثلها مثل بقية مدن وسط الجزيرة الهامة .

وطبقاً للسوابق التاريخية ، فقد تصدت هذه البلدة ، لأكثر من جيش وحملة . وسقوط أميرين من أمرائها^(٨٢) ، في أزمنة متفاوتة ، قتلى في خضم صراعتها مع هذه الجيوش الغازية ، دليل بحد ذاته لاحتياج إلى إيضاح . وتوفر قيادة قوية ، على رأسها أمير عرف عنه الجرأة والشجاعة وسدد الرأي^(٨٣) إلى جانب دفاعات البلدة من أسوار وأبراج ، والذي ألمح خورشيد نفسه إليها ، وأشار إليها المؤرخون الآخرون حتى الرسميون منهم كلوريمر الذي يقول : «والمدينة مسورة وتقع في وسط واحة

(٧٧) ج ج لوريمر ، مرجع سابق ، ص ١٦٣٨ .

(٧٨) رتبة ميرمان هي رتبة فريق . عبد الرحمن الراجحي ، مرجع سابق ، ص ٤٠٠ .

(٧٩) الوثيقة التركية رقم ٥ ، محفظة ٥ ، بحري دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٩ محرم ١٢٣٣هـ (عن بعض العمليات في القصيم) .

(٨٠) ج ج لوريمر ، مرجع سابق ، القسم الجغرافي ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٨١) تقرير خورشيد ، يقول خورشيد : «إن من البلاد العامرة في نجد ، هي (عنيزة) وسبب عمرانها ، لكون أهلها رجال تجارة ، وهم على الدوام في حالة سفر ما بين بغداد ، والبصرة ، والكويت ، والبحرين ، وأرض الحرمين ، لأجل التجارة» . الوثيقة التركية رقم ١٦٣ ، حمراء ، محفظة ٢٦٧ ، دار الوثائق القومية ، عابدين مؤرخة في ٢٩ جمادي الأولى ١٢٥٥هـ . (رسالة من خورشيد ، وتقرير عن واردات نجد) .

(٨٢) هما عبد الله بن رشيد ، ومحمد بن حسن الجمل ، عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٣٧ ، ٤٥٣ .

(٨٣) بعد الانتصارات الأولى التي حققها أهل القصيم وحلفاؤهم على وجعان الراس من قبيلة شمر ، أشار أمير عنيزة يحيى بن سليم على بقية رؤساء القصيم ومن معهم أن يكتفوا بما أحرزوه من نصر ، أو على الأقل بما اظهروه للخصوم من قوة ، ويعودوا إلى بلدانهم . لكنهم ، لم يأخذوا بنصيحته . وساروا إلى بقاء ، وكانت الهزيمة عليهم فادحة . وهذا بلاشك مؤشر على بعد نظر يحيى وسداد رأيه ، كما كان له موقف بطولي في وقعة بقاء نفسها يدل على جرأته وشجاعته . عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٨ - ١٩٠ ، عبد الله الصالح العثيمين . نشأة إمارة آل رشيد ، (الرياض : جامعة الرياض ، عمادة شؤون المكتبات ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

مُسَوَّرة ، أو كانت مسوَّرة قبل ذلك ، والواحة مزروعة بغابات النخيل وحقائق الفاكهة والمزارع .. وتنتشر أبراج الحراسة فوق أسوار البلدة والواحة ، وتحول الموارد الزراعية وآبار المياه الموجودة في الواحة دون إنجاح أية محاولة لحصار البلدة»^(٨٤) .

كل هذه الظروف والمزايا ، رقت بالبلدة من الناحية الحربية إلى مستوى قد يصل إلى النُدْبَةِ لهذه الحملة ، ومنازلتها إذ اقضى الأمر . ومع أن جيش خورشيد كان كثيفاً ، لكن ليس إلى الدرجة التي يستحيل على هذه البلدة مقاومته أو يصحح ليس بمقدورها قهره . والأحداث التي تلت بعد ذلك ، والتي جرت بين خورشيد والإمام فيصل ، أثبتت أن قوات خورشيد ارتدت وهزمت أكثر من مرة ، وكادت أن تهزم هزيمة ساحقة نهائية لولا النجيدات التي وصلت إليها ، مع ماصاحب هذا من تذبذب لبعض الفئات لم يكن له أي مبرر . والفاخري يقول إنه لولا الخيانة التي حدثت من بعض المحاربين في جيش الإمام فيصل ، لما تمكن خورشيد من الانتصار ، ولما هزم فيصل ، حيث كانت مجريات المعركة ، في صالح فيصل ضد خورشيد ، إذ بلغت خسائر الأخير ثمانمائة قتيل في مقابل مائتين فقط . يقول الفاخري : «ثم سار (خورشيد) إلى الرياض فركب معه خالد بن سعود بأهل الرياض وقصدوا بلد الدلم وفيها فيصل بن تركي قد استعد للقتال بمن معه (وجرا) بينهم وقعات قيل قتل من العسكر نحو ثمان مائة ، ومن قوم فيصل نحو مائتين وهذه هي وقعة الخراب .. وذلك كله في شعبان .. وآخر الأمر أنهم استولوا عليه وقهروه بسبب الخيانة من بعض قومه ، ثم سيروه إلى المدينة المنورة ثم إلى مصر»^(٨٥) . وهذا مؤشر على أن جيش خورشيد ليس بذلك الجيش الذي يستحيل قهره أو هزيمته .

ولعل من استعراض هذه الحرب ، أصبح من الممكن أن يكون المرء صورة للنتيجة التي انتهت إليها . فكما مرّ ، قال خورشيد باستسلام البلدة . ونتيجة الحرب كما رواها المؤرخون النجديون تسعين قتيلًا إلى خمسين أو ثلاثين لصالح عنيزة ، وفحوى روايتهم توحى برجحان كفة البلدة . ولكن يبدو أن الذي حدث ، لا هذا ولا ذاك ، وإنما أمر وسط ، كان نتيجة طبيعية لتدارك هذه الحرب ، وإيقافها دون نتيجة حاسمة لأي منهما . وأسبابها ، سواء مذكّره خورشيد أو الذي قال به هؤلاء المؤرخون ، تثبت بأن هذه الحرب فعلاً نشبت عن طريق الخطأ غير المقصود ، وأن كلا الطرفين لم يكن راغباً في حدوثها ، ولا أراد ذلك . خصوصاً إذا تذكرنا أن الأمير ، ساعة اندلاع الفتنة ، كان لدى خورشيد في معسكره خارج البلدة . كما كان الجند يتسوقون في سوقها . ولعل خورشيد كان أكثر رغبة في تجنب حرب كهذه . إذ ربما عبارته ، «وبدر المبادرون إلى بنادقهم ، فما راعنا إلا أن رأيناهم ، يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة»^(٨٦) بالبلدة» كانت تعني أمراً آخر أراد أن

(٨٤) ج ج لوريمر ، مرجع سابق ، ج ١ ، القسم الجغرافي ، ص ٩٦ .

(٨٥) محمد بن عمر الفاخري ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، وإبراهيم بن صالح بن عيسى ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

يقوله . «فما راعنا» ، يبدو مندهشاً لفعالهم هذا . وقد يكون رأي أن الأمر ممكن أن يُحتَوَى ويحجَم ويعاقَب المتسبب المباشر لفتنة السوق ولا يحتاج الأمر إلى حرب . كما أن إعطائه أمانين لهذه البلدة ، يعطي الانطباع بأن خورشيد ربما أراد فعلاً عدم الدخول في أي مجابهة معها . وعندما أصبح أمام الأمر الواقع ، حدثت هذه المجابهة والحرب أراد لها ألا تستمر ، وأن ينهيها بشكل سريع . لدرجة أن الأمان الثاني ، بالرغم من إلحاق خسائر كبيرة بجنده في قتال السوق ، لم يضمنه أية شروط أو عقاب . وقد يكون رأي في فتك جنوده بالمدنيين ، ممن كانوا خارج الأسوار عند حدوث الفتنة ، انتقاماً كافياً . وأن استمرار الحصار ليس بصالحه لاسيما بعد أن لمس شيئاً من بأس هذه البلدة ، وتبين له صلابة مقاومتها ، ومثانة دفاعاتها من بروج وأسوار . وأن هذا الحصار يتطلب مدة قد تطول ، وهو الأمر الذي لا يريد خورشيد أن يقع فيه للأسباب التالية :

بالإضافة إلى ما أحدثته وقعة السوق من أضرار وخسائر بهذا الجيش ، فإن استمرار الحصار ، بالتأكيد ، سينهكه ويضعفه أكثر . وخورشيد يريد لهذا الجيش أن يظل قوياً متماسكاً وألا يدخل في حرب قد تطول وتؤثر عليه وربما تثنيه عن مهمته الأساسية . ولاسيما أن هذه الحرب قد حدثت في الوهلة الأولى من وصول هذا الجيش إلى نجد .

ومهمته العاجلة تجعل عامل الوقت مهماً لدى خورشيد ، وحصار البلدة لو طال ، قد يتيح الفرصة لخصمه ، الإمام فيصل ، إما بالانتصار على خالد بن سعود في الرياض ، وكان على وشك ذلك ، أو بمناوشة جيش خورشيد نفسه ومناجزته . وبذا قد يتخرج موقفه بين بلدة تحاربه وتشغله بحصارها ، وبين خصم يناوشه ويناجزه . لاسيما إذا أعدنا إلى الأذهان ، كما مر ، أنه بالإضافة إلى قوة هذه البلدة ، فقد كانت مركزاً وقاعدة لقوات الإمام فيصل في القصيم من قبل .

ومن هذا نخلص ، إلى أن خورشيد ، أمام صلابة عنيزة ومقاومتها من ناحية ، والضرر الذي لحق بجيشه ، إثر قتال السوق من ناحية أخرى ، بالإضافة إلى مهمته العاجلة ، وخصمه المتربص به ، والذي ظل خورشيد يخادعه كسباً للوقت ، أمام كل هذه العوامل ، وقد يكون لغيرها أيضاً ، اضطر خورشيد إلى رفع الحصار ، وإنهاء الحرب . مفضلاً مصالحة عنيزة ومهادنتها ، والتي ربما رأت أنه مع إمكانية قدرتها يومئذ ، على التصدي لجيش خورشيد ، إلا أن الصلح خير من الاستمرار في حرب ، قد تكون نهايتها ، مهما طال ، غير مضمونة . لأن انتصار عنيزة على حملة خورشيد ، لو تحقق ، فلن يكون آخر المطاف . فخورشيد يستند إلى بلد ذي إمكانات يحكمه وإل له مطامع أكيدة في جزيرة العرب ، سيوالي المدد والدعم سواء لحملة خورشيد هذه أو لغيرها من الحملات .

لذا انتهت هذه الحرب دون إحراز نتيجة حاسمة لأي من الطرفين ، حيث أنه ليس من مصلحة أي منهما استمرارها . ولعل المؤرخ الفاخري عندما قال : «وجرت بينهم وقعة من غير قصد .. ثم تراجعوا على الكف وتركوا ماسبق وتبايعوا» قصد بأن هذه الحرب قامت بطريق الخطأ ولكن الفريقين تداركوا الأمر وتراجعوا وأنهوا بصلح متكافئ ، حيث قال «وتبايعوا» .

أما قول خورشيد باستسلام البلدة ، فلعله أراد بذلك إقناع مرجعه . خصوصاً وأن هذه الواقعة حدثت في الأيام الأولى من وصوله إلى نجد . وليس من المعقول من وجهة نظر خورشيد ، أن تهتز صورة هذا الجيش أو قائده في عين ذلك المرجع . لذا مؤوة خورشيد الحقائق حتى بدت متناقضة من أجل إدخال السرور على سيده وإقناعه من ناحية ، وعدم اهتزاز الثقة به كقائد عسكري من ناحية أخرى . وعبارات الوثيقة ، كما سبق ، توحي بهذا . بالإضافة إلى أنه سبق أن لوحظ على خورشيد عدم الدقة في بعض تقاريره^(٨٦) وأمام قوة عنيزة ومثانة دفاعاتها من بروج وأسوار ، والتي لم يتجاهلها خورشيد نفسه ، وماسطرته المصادر التاريخية من سجل لصراعتها ومقاومتها لمثل هذه الحملات ، فإنه من غير المعقول أن تهزم أو تستسلم في مدة وجيزة كهذه ، يومين وليلة . خصوصاً وأن جيش خورشيد مهما بدا قوياً إلا أن الوقائع التاريخية وبالذات تلك التي تلت هذه الحرب أثبتت أنه ليس بذلك الجيش الصلب . ومن ناحية أخرى ، فإن المصادر التاريخية أيضاً تذكر أنه في أكثر من مرة حدث وأن حوصرت عنيزة من قبل بعض القوى في نجد ووجهت المدافع إلى أسوارها وأبراجها . ولكن هذه المدافع لم تستطع أن تؤثر فيها بشيء . وصمدت المدينة ، مما اضطر هذه القوى إلى رفع الحصار والانسحاب^(٨٧) .

الوثائق والمراجع

أولاً : الوثائق

- * الوثيقة رقم ٥ ، محفظة ٥ ، بحبراً ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٩ محرم ١٢٢٣هـ . (عن بعض العمليات في القصيم) .
- * الوثيقة رقم ٦ ، محفظة ٢٦٦ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في رمضان ١٢٥٤هـ . (تقرير من خورشيد باشا ، عن الوضع في نجد ، كما تحتوي على بعض الخطابات الأخرى) .
- * الوثيقة رقم ١٢ ، محفظة ٥ ، بحبراً ، دار الوثائق القومية - عابدين مؤرخة في ٢٣ محرم ١٢٢٣هـ . (حصار مدينة الرس) .
- * الوثيقة رقم ١٣ ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٠ رمضان ١٢٥٣هـ . (تعرض من بين مواضيع أخرى ، لهزيمة خالد وإسماعيل) .
- * الوثيقة رقم ٥٤ ، حمراء (المرفق العربي) ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٣ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ . (تعميم مرسل لأهالي نجد ، بشأن هزيمة إسماعيل وخالد) .
- * الوثيقة رقم ١٦٣ ، حمراء ، محفظة ٢٦٧ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٩ جمادى الأولى ١٢٥٥هـ رسالة من خورشيد ، وتقرير عن أحوال نجد ، البند الخامس) .

(٨٦) عبد الله الصالح العنمين ، بحث .. مرجع سابق ، ص ١٥٦ - ١٦٠ .

(٨٧) ج ج لوريمر ، مرجع سابق ، ج ٣ ، القسم التاريخي ، ص ١٧٤٦ - ١٧٤٨ .

- * الوثيقة رقم ٢٠٨ ، زرقاء ، محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٤ ربيع الأول ١٢٥٤هـ . (تقرير مرفوع من خورشيد باشا يشرح فيه وقائع تحركه من المدينة - الحناكية وحتى عنيزة ، ويحتوي - ضمن ما يحتويه - تقرير عن الحرب والحصار لمدينة عنيزة) وقد أشير إلى هذه الوثيقة اختصاراً بـ «تقرير خورشيد» .
- * الوثيقة رقم ٢١٨ ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٥ ذي القعدة ١٢٥٣هـ . (حول إرسال كتاب تهديد من قبل خورشيد إلى فيصل - وإرسال خيالة وفرسان إلى الرياض - وأمور أخرى) .
- * الوثيقة رقم ٢٢٠ ، محفظة ٢١٤ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٥ جمادى الأولى ١٢٥٤هـ . (بشأن فرار جلوي بن تركي) .
- * الوثيقة رقم ٢٦١ ، حمراء ، (المرفق العربي «هـ») ، محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٣ شعبان ١٢٥٣هـ . (كتاب من علي باشا ، وإلى بغداد إلى الإمام فيصل حول العمل على دعمه ومساندته ضد خالد بن سعود ومن معه) .
- * الوثيقة رقم ٢٦١ ، (المرفق العربي) ، محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ١٩ محرم ١٢٥٤هـ (كتاب من الإمام فيصل ، موجه إلى خورشيد باشا ، بشأن اتصالاته بعلي باشا والي بغداد) .

ثانياً : المراجع

- البسام ، عبد الله بن محمد (١٣٤٦/١٢٦٨هـ) ، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، نسخة خطية ، نقلها عن الأصل ، المحفوظ لدى ورثة المؤلف ، نور الدين شريعة عام ١٣٧٥هـ .
- ابن بشر ، عثمان بن عبد الله (١٢٩٠/١٢١٠هـ) ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، جزءان ، تحقيق : الشيخ عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ ، الرياض ، دار الملك عبد العزيز ، ط ٤ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- الرافعي ، عبد الرحمن ، عصر محمد علي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .
- عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمن ، من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي ، (١٢٣٤ - ١٢٥٦هـ/١٨١٩ - ١٨٤٠م) ج ١ ، الدوحة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ،
- محمد علي وشبه الجزيرة العربية ، (القاهرة : ١٤٠١هـ/١٩٨١م) .
- العبودي ، محمد بن ناصر ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، بلاد القصيم ، القسم الثاني (ب - ح) الرياض ، دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- العتيمين ، عبد الله الصالح ، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- تاريخ المملكة العربية السعودية ، الجزء الأول ، الرياض ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- العتيمين ، عبد الله الصالح ، نشأة إمارة آل رشيد ، عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) ، الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- دليل الخليج ، القسم التاريخي ، الجزء الثالث ، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر ، الدوحة ، د . ت .
- العجلاني ، منير ، تاريخ البلاد العربية السعودية : عهد عبد الله بن سعود ، ونهاية الدولة السعودية الأولى (فترة الضياع) ، (د . م ، د . ت) .

- أبو عليّة ، عبد الفتاح ، الدولة السعودية الثانية : ١٢٥٦ - ١٣٠٩هـ / ١٨٤٠ - ١٨٩١م ، أسهمت دائرة الملك عبد العزيز في طبعه ، الرياض ، مطبعة المدينة ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح (١٢٧٠ - ١٣٤٣هـ) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ - ١٣٤٠هـ) ، الرياض ، دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر ، (د . ت) .
- الغنام ، سليمان بن محمد ، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ - ١٨٤٠) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا ، جدة ، تهامة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- الفاخري ، محمد بن عمر (١١٨٦ - ١٢٧٧هـ) ، الأخبار النجدية ، تحقيق : الدكتور عبد الله ابن يوسف الشبل ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر ، (د . ت) .
- لوريمر ، ج . ج ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج ١ و ٥ ، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، د . ت .
- المختار ، صلاح الدين ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، ج ١ ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

Unayzah's Attack on Khurshid's Soldiers and His Siege of the City (Safar, 1254 A.H.)

Mohammed Thenayan Al-Thenayan
*Assistant Professor, Department of History,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.*

ABSTRACT

This paper is to study the fight and the siege which took place in Safar, 1254 A.H. between Khurshid, one of the Mohammed Ali Commanders, and the city of Unayzah in al-Qasim. It sheds light on the cause and consequences of such war and confrontation. This subject, we believe has not been studied by any of the modern researchers. Consequently, we believe that this paper may be the first to tackle this matter critically and thoroughly. It refers to some historical documents overlooked by most researchers, such as Khurshid's report.

In his report, Khurshid claims that the fight ended and the siege was over by the surrender of Unayzah. However, the study proves that this is untrue. One should emphasises the fact that the conflict was ended and the siege was over by concluding an equal peace treaty between the two parties, not as Khurshid claims. This conclusion is built upon several factors among which are: The statements of the Najdi historians supported by the weak points and contradictory facts in Khurshid's report.